

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

# الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزايم الوهابية  
بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيي محمود  
قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



HAKÎKAT KİTABEVİ

Darıüşşefaka Cad. No: 57/A P.K. 35  
34262-Fatih İSTANBUL Tel: 523 45 56  
TURKEY  
1986



# المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

قال العلامة محمد ابن علي بركوي في الطريقة المحمدية

فإن قيل كيف التطبيق بين قوله صلى الله عليه وسلم

كل بدعة ضلالة وبين قول الفقهاء إن البدعة قد تكون مباحا  
كاستعمال النخل وقد تكون مستحبا كبناء المنارة والمدارس  
وتصنيف الكتب بل قد تكون واجبا كظم الدلائل رد شبه  
الملاحدة ونحوهم قلت البدعة معنى لغوي عام هو المحدث  
مطلقا عادة أو عبادة لأنها اسم من لا يتداع بمغى لأحداث  
كالرفعة من الارتفاع والخليفة من الاختلاف وهذا هو القسم  
في عبارة الفقهاء يعنون بها ما أحدث بعد الصدر الأول  
مطلقا ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو نقصان  
منه الحادثان بعد الصحابة بغير إذن من الشارع لا قولا ولا  
فعلا ولا صريحا ولا إشارة فلا تتناول العادات أصلا  
بل تقتصر على بعض العقائد وبعض صور العبادات  
فهذه هي مراده عليه الصلوة والسلام بدليل قوله عليه  
فعليناكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدك  
وقوله عليه الصلوة والسلام أنتم أعلم بأمر دينكم وقوله  
عليه الصلوة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

# الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزاعم الوهابية

بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعوى محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



يطلب من المكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول - تركيا

هجري قمرى ١٤٠٧ هجري شمسي ١٣٦٥ ميلادى ١٩٨٦

﴿ تنبيه ﴾

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل ومنى الشكر الجليل وكذلك جميع كتبى كل مسلم ماذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح

# المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية

مكتبة تخصصية للرد على الوهابية



## إهداء الكتاب

الى حضرة المجاهد الاكبر، المنهض حاله والى الله مقالته سيدى ومولاي  
الحاج عبد العزيزيه. خليفة المسلمين وخادم الحضرة الاحمدية فى افريقية الغربية.  
إننى أتشرف باهداءكم هذه المؤلفه المتواضعة تقديراً لمساعدتكم الحميدة و  
مجهوداتكم الجبارة التى ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام والمسلمين. ويسعدنا ان نؤكد  
فى هذه السطور ما لفضيلتكم من أياذ بيضاء. ومواقف غراء، فى مختلف القضايا الاسلامية  
منها، والوطنية. لقد كنتم — يافضيلة الشيخ — السند الأقوى والقوة الحسنى لابناء  
هذه الامة المسلمة. وقمتم خير قيام لتحقيق التضامن واصلاح ذات البين فى ظروف يكاد  
التعصب بين الطرق الصوفية، والمذاهب الفروعية. يمزق شمل الامة ويوهن قوتها أو  
يقضى عليها بالكلية.

ولكن لحسن الحظ وبفضل ما اوتيتم به من الحكمة وفصل الخطاب، استطعتم  
ان تفهموا كل من يفهم القول بان الطرق والمذاهب مهما تعددت وتخالفت فى الاشكال  
والنظم، فانها تهدف الى تحقيق غاية واحدة وهى توجيه العباد الى معالم العبادات و  
جعلهم أمة متحدة ذات هدف وشعور مشتركين وقد تحقق بحمد الله تعالى فى عهدكم  
الزاهر الشئ الكثير من تلك الاهداف الغالية. فنسأل الله العلى القدير ان يجعل سعيكم  
مشكوراً وجزاءكم موفوراً انه تعالى لا يضيع أجر المحسنين.

## مقدمة

إنها محاولة كانت ولا بد من ان نكتبها بمقتضى القضاء والقدر فلولا ذلك لما ظهرت الى الوجود لضعف مستويينا الثقافى والتعبيرى ولأن الكتابة تحتاج أيضا الى مزيد من الآلات غير المداد والقلم. فلسنا متزودين بتلك الآلات التى هى معرفة اساليب الانشاء، وقواعد التركيب والترتيب. ولنا كذلك من عارفى التصنيف ولاء الفى التأليف. ولكننا سلكننا مسالك غيرنا، وتحملنا بما لاحول لنا به ولا قوة. والحق ان سلوكنا وتحملنا بهذا وذاك انما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الَّذِينَ نَصِيحَةُ)

هذا ولم يكن ليخطر ببالى ان اكتب مثل هذه الرسالة الا بعد ان جالست بعض الوهابيين عدة مرات، وناقشت معهم شتى الموضوعات الدينية. واضف الى ذلك ما رأيته فى الكتب من مؤلفاتهم، وما استمعت اليه من محاضراتهم وندواتهم فظهر لى ما يسرونه لغيرهم وما يعلنون. ووجدتلى - والحال هذه - مضطرا للدفاع عن المظلومين و ان اكف أيدى المعتدين عملا بقوله تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَبَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* الشورى : ٤١) وقوله عليه الصلاة والسلام: ( أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ) هذا ويمكن التحقق بان الهدف الوحيد والغرض الرئيسى من تأليف هذا الكتاب هو بث الحقائق الاسلامية، وتخليص ذوى الافهام المنحرفة من ورطة الافراط والتفريط لا غير. ولست أقصد من وراء هذا العمل الا الشفقة على الاخوان المسلمين علما بان انتقاد اولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة - والعياذ بالله! - وليس لى أى غرض الى شن الهجوم ضد الوهابيين او التعدى عليهم بالظلم والعدوان. كلا! وحاشا!

ولكننى فى الواقع انما اخاطبهم بلسان النصيحة وأذكرهم - ان نفعت الذكرى - بأن دعوتهم هذه، وان كانت فى البداية لأجل نصره دين الله الحنيف قد صارت اليوم - وبالله اسف - حجرة عثر فى طريق الاخوة الاسلامية، او شبه حجرة تحركها يد الشيطان فترمى بشرر العداوة بين المسلمين من جهة، وبين ذوى الارحام من جهة أخرى. او بعبارة اخرى ككرة تتقاذفها الاهواء بين فرق من الجهال وأفراد ممن يسمون أنفسهم (سُنَّيْن)

على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بمعنويات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسى وحاذرت كل الحذر حرصا على توفير العدالة المنطقية، ونظرا الى أن الحق أحق أن يُتَّبَعَ — إلتزمت ان لا اكتب فى هذه المؤلفه غير الواقع المشهود، استنادا على الحق. وخوفا من ان اكون كالتاقد المتطرف الذى يعتمد فيما يكتب او يقول: على القيل والقال. أو على الرجم بالغيب (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ \* يوسف : ٨١)

هذا وأملى كبير فى ان يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة لقبول الحق أياً كان مصدره. والله در القائل: (أَنْظُرْ لِمَعْنَى الْقَوْلِ لَا لِلْقَائِلِ وَالْحَقُّ مَقْبُولٌ وَلَوْ مِنْ جَاهِلٍ) وسميتها بالحقائق الا سلامية فى الردّ على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم انى اعتذر مرة اخرى لكل من اطلع عليها من النحاة وذوى الثقافة بأنى لا املك غير حسن الظن بالله وهو المسئول بأن يتمم لى المقصود. ويجعلها مقبولة لديه، خالصة لوجهه الكريم، نافعة لمن اطلع عليها، إنه ولى التوفيق والهادى بمنته إلى الصراط المستقيم.

الحاج مالك بة

نزىل مدينة «كوتبالا»

جمهورية «مالى»

### بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذى أنشأ وصور وشهد ان لا اله غيرك يا من أسمع وأبصر والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد من بشر وأنذر القائل: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) وعلى اله وصحبه، ومن اوى ونصر

اما بعد فان الباعث الوحيد لى الى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين والرد على بعض الوهابيين المتطرفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحق ظن الجاهلية ويزعمون أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك حتى ولو أقر بالشهادتين و اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت. لأن الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية يجب الاقتداء بها بالقلب والقالب وكأن الوحي الالهي إنما أنزل على محمد بن عبد الوهاب ( المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ) لا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. [١] وأقول بان هذه المزاعم وأمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذى هو الداء العضال فى كل زمان ومكان، والذى لا يقتل أعضاء الجسم وحدها إنما يقتل معها أعضاء الامة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التى مني بها مجتمعنا القومى فى عصرنا الحالى، جاءت نتيجة لسببين ظاهرين: اولهما: هو الجهل المركب الذى لا يميز صاحبه بين الخبيث والطيب ولا بين المندوب والمكروه ثم لا يعترف بجهله فيسكت. والثانى: هو عدم فهم بعض المسائل الدينية فهما حقيقيا، مما اتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات والاحاديث عن مواضعها فيترتب عليه إجرام البريء تارة وإبراء المجرم تارة اخرى.

ولأجل هذين السببين عمت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى الى قطع الارحام وهجران المساجد واختلاف المفاهيم والآراء، وأخيرا اختلط الدين بالطين و انتهى الأمر الى الفوضى. وقديماً سئل حكيم عن كثرة الخلافات فأجاب: (لوسكت الجاهل لا ترفع الخلاف)

(١) اما اولئك الوهابيون المعتدلون الذين لا يعتقدون ذلك ولا يزعمون تلك المزاعم فلم يتوجه اليهم كلامنا اهـ.



ما احوجنا اليوم الى السعى وراء التفقه في الدين والاهتمام به ، كواجب مقدس . وما أجدر بنا للتمسك بالكتاب والسنة والتقيد بأحكامهما قولاً وفعلاً .

وما اسعدنا لو وقفنا صفاً متحداً وقلبا واحداً ضد هذه الخلافات الهدامة و التقسيمات الطائفية التي شأنها خلق التباغض والتقاطع بين افراد المسلمين وجماعاتهم و حبذا لو استحضرنّا بأذهاننا عهد الخلفاء الراشدين وسلكنّا بتصرفاتنا الدينية والدنيوية نهج المسلمين الاولين من المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ \* فَتَحَ: ٢٩) وبقوله: (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ \* المائدة: ٥٤)

وقد كانوا — رحمهم الله — مضرب المثل في التسامح والتناصح وحسن الجوازو جدير بنا — نحن الخلف — ان نحذو حذو سلفنا الاخيار ونمثل في كياننا أمة مسلمة متماسكة بمعنى الكلمة هدفها: الاعتصام بحبل الله و غايتها: القضاء على اسباب التخالف والتباغض بين افراد المسلمين وجماعاتهم . كما كان الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد خلفائه الراشدين رضى الله عنهم .

وهنا نطرح السؤال التالى: ما هى العلوم التى يجب ان نتعلمها لنفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية؟ أهى العلوم التى فى الكتب العصرية و التى يؤلفها بعض المتقولين ممن لا يعتدُّ بأقوالهم ولا يحتجُّ بآرائهم وإنما يحبون فقط ان تشيع الخلافات بين الأمة؟ ام العلوم التى فى الكتب الأصلية المستنبطة من الكتاب والسنة ومن اقوال أئمة المذاهب ورجال الدين؟ و الجواب على السؤال واضح .

ولكى نفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية فهما حقيقيا لابدً و قبل كل شىء من معرفة نصوص القرآن الكريم و أصول الحديث ، و الفقه ، و اللغة ، و النحو ، و غيرها ...

فهذه كلها علوم ضرورية لا يستغنى عنها فى فهم الشريعة . و يجب تعلمها و الاعتناء بها بأكبر قدر ممكن . لأن ما لا يتم الواجب الآ به فهو واجب .

و لكن فمن المؤسف جداً أنّ بعض اخواننا الوهابيين لا يعرفون من هذه العلوم شيئاً ومع ذلك فهم يدعون المعرفة والتدين . و تراهم يتجادلون فى الدين آناء الليل و

اطراف النهار ويفسرون القرآن و الاحاديث الأسواق و الاندية العامة دون معرفة الناسخ او المنسوخ ولا سبب النزول ولكن بأرائهم الشخصية. فكثيرا ما يحرفون الكلم عن مواضعها و العياذ بالله. و في الحديث: (مَنْ قَسَرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ فِي النَّارِ) «اخرجه الترمذى» ولا تكاد تجد منهم من يعرف في الاسلام اكثر من وقائع التاريخ و قصصه المسرودة: كفتح مكة وقصة خيبر و أحداث بدر و أحد و حُتَيْن و ما أشبه ذلك من الحروب الاسلامية و تواريخ الخلفاء و الشخصيات البارزة.

و حيث كانت معرفة هذه الحروب مهمة في نظر الاسلام فإن معرفة نصوص القرآن الكريم و اصول الحديث و الفقه أهمُّ بأضعاف مضاعفة. ذلك لاننا بواسطة هذه العلوم نصل إلى معرفة فروض الاعيان و التمييز بين الحلال و الحرام بينما لانصل إلى معرفة ذلك من خلال الحروب المذكورة.

و على هذا فإن طلاقة اللسان و معرفة هذه الحروب و تلك الاحداث لاتجعل الانسان عالما مادام يجهل فروضه و الواجبات عليه. ولا ينبغي للمسلم ان يصرف همهته في تعلم هذه الحروب و تفاصيلها و ان يستغرق اوقاته في تتبع مواقعها و نتائجها، حين لايعرف شيئا عن امور دينه و احكام عباداته. بل الواجب عليه أن يهتم أولا بتطهير قلبه و تحسين سلوكه و أخلاقه ثم يسعى الى معرفة ما يصلح به فرض عينه من احكام الصلاة و الطهارة، و الصيام. و ما الى ذلك من فروض الاعيان. و له بعد ذلك أن يتعلم ما يشاء من فروض الكفايات التي من بينها هذه الحروب و تلك القصص و الحكايات.

و مهما تغافل المرء عن تعلم فروض العينية و اشتغل بما دونها من القصص و الحكايات ليميل إليه قلوب العامة و يستجلب مشاعرهم و رضاهم كان مضيعا للوقت و خاسرا في الحال و المآل.

## الاسلام وأهدافه في توحيد الأمة

الاسلام هو الدين الحنيف الأمر بالتأخي والتألف، والناهي عن التقاطع والتخالف، ويهدف هذا الدين القويم من خلال أوامره الربانية وتوجيهاته النبوية الى خلق جو يسوده التفاهم والتحابب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم وينادى بأعلى صوته الى الاعتصام بحبل الله والى اصلاح الأخوة الاسلامية ورعاية حقوق الجوارى جميع المستويات. ويحرص هذا الدين كل الحرص على التماسك والتحابب بقدر ما يكره التباعد والتخالف. قال الله تعالى: (...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ... \* الانفال ٤٦) وقال أيضاً: (وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا \* آل عمران ١٠٣) ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) رواه انس وقال عليه السلام: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) رواه البخارى ومسلم وقال ايضا: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِإِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخارى ومسلم

والاسلام احرص شئ على التوافق والتعاون بين أبنائه ويظهر ذلك جلياً فى كل توجيهاته، وتعليماته، وخاصة فى قواعد الخمس التى هى: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. فالشهادتان تشكلان المورد الالهى العذب، الذى ترده القلوب والألسنة بين حين وآخر، فترتوى من ماء التوحيد الذى هو السبب الإيجابى للحياة الأبدية والسعادة السرمدية

والشهادتان — بالمعنى الصحيح — تعبران عن لفظ التوحيد ومعنييه الحقيقين و هما أساس القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام.

والصلاة هى إجتماع مفروض بين المسلمين يؤمياً ليقوموا الى عملية العبادة بحركات متحدة من قيام، وركوع، وسجود، وجلس، وسلام. ويتكرر هذا الاجتماع خمس مرات فى اليوم، فيترتب منه التعارف بين المسلمين والتألف والتعاون فى كل المجالات.

أما الزكاة فهي من أجل مظاهر التعاون و التراحم بين المسلمين ومن أسرع جوارب التحابب و التعاطف بين الأغنياء و الفقراء، فالغنى يأخذ كل سنة جزءاً من ماله الخاص ليضعه تحت تصرفات أخيه الفقير وهو لا يريد منه الجزاء ولا الشكور. بل يعد ذلك من الواجبات الاجتماعية التي أوجبتها عليه احكام الشريعة الاسلامية العادلة. ثم يأخذه منه ذلك المحتاج شاكرًا إياه و الاسلام معا.

ثم يأتي دور الصوم و كأنه يريد من الغنى ان يتعرف على الظروف التي تحيط بالفقير فيعيش معه نفس الظروف؛ من الجوع و العطش طيلة شهر كامل ليتسنى له بين حين و آخر، ان يتذكر احوال إخوانه الجائعين و ذوى الفاقة فيعطف عليهم و يواسيهم بما تملكه يده فيحصل له من الله الأجر و من إخوانه الشكر.

ثم الحج الذي هو المؤتمر السنوي للمسلمين حيث يتوجهون كل سنة الى اقدس الاماكن و اشرف البقاع. و هي مكة المكرمة لأداء فريضة الحج و لزيارة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة و هو فرصة سانحة يغتنمها المسلمون لفائدتهم الدينية و الدنيوية في آن واحد...

و الحج مظهر رائع من مظاهر التشابه و المساواة بين طبقات المسلمين من الأغنياء و الفقراء و داعٍ من دعاة التعاطف و عدم التخاصم فيما بينهم قال تعالى: (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ \* البقرة: ١٩٧)

تلك هي قواعد الاسلام الخمسة و هذه، توجيهاتها و تعليماتها و كلها تهدف أساسا الى توحيد صفوف المسلمين و جمع كلمتهم و احترام بعضهم بعضا. و يتبين للمسلمين من خلال تأملهم الى هذه القواعد الاسلامية و تأثيراتها في المجتمع بأنهم مطالبون بالتعاطف و التماسك بدلاً من التخالف و التخاصم كما هو الواقع اليوم.

و من هنا نرى و نحكم أن كل دعوة أدت الى التفرقة و الشقاق بين أفراد الامة فهي دعوة باطلة بأدلة الكتاب و السنة. و هي بالتالي دعوة بريئة من الاسلام، و الاسلام بريء منها مهما بلغ تأثيرها في قلوب العامة و مهما كثرت أنصارها و أتباعها. و في الحديث: (أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ يَفْرُقُ بَيْنَ أَقْنَى قَاهِرٍ بَوَا عُنُقَةٍ)

فالدعوة الوهابية كما لا يخفى على أحد كانت و ما زالت مصدر الاختلاف و



الخصومات بين المسلمين، من لدن عهد احمد بن تيمية المؤسس الأول [١] لهذه الدعوة الى عهد محمد بن عبد الوهاب الذى جددھا بعد أربع مائة سنة من وفاة ابن تيمية الذى كان قد واجه تهماً شتى، مما أدى فى الاخير الى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب تلك الدعوة وقد ظل مسجوناً الى ان وافته المنية رحمه الله.

وهنا نلفت انتباه القارئ الكريم الى أن احمد بن تيمية هذا كان واحداً من اكابر العلماء و كان فقيها مشهوراً بالزهد والتقوى، و يضرب به المثل فى علم الحديث و كان يلقب بشيخ الاسلام لأنه خالف جمهور العلماء فى بعض المسائل الشىء الذى حظ بدولته، الى اسفل الدرجات ولا غرابة فى ذلك فالجواد قد يكبو و السيف قد ينبو.

فقد كان من أمره انه يمنع السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم و يحرم التسوسل و الاستغاثة بالانبياء و الأولياء و يقول بان ذلك من الشرك بالله كما كان يطعن فى السادة الصوفية و فى اكابرهم من امثال الامام الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ) و أبى يزيد البسطامى (المتوفى ٢٣١ او ٢٦١ هـ) وابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٦ هـ) والامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥ هـ) و اضرابهم و كان يهاجم عليهم بافطع العبارات و يبالغ فى الرد عليهم و على منهجهم الصوفى. و ذلك ايضا هو النهج الذى سلكه خليفته محمد بن عبد الوهاب و أتباعه المعاصرون. وهناك مسائل اخرى يتعلق بعضها بالأصول و بعضها بالفروع خالفوا فيها جمهور العلماء و صاروا بها موضع الجدل و الخصومات بين المسلمين.

اما محمد بن عبد الوهاب فقد ظل هو الآخر يعانى مدة حياته حروباً حامية الوطيس بينه و بين علماء عصره الذين كانوا يعارضونه تماماً و يعتبرون دعوته من اخطر الدعوات فى تاريخ الاسلام. فقد رد عليه بعض الاساتذة و العلماء بأبلغ الرسائل و المؤلفات يحذرونه فيها من مغبة هذه الدعوة و يناشدونه التوقف عن شن هجماته ضد المسلمين الابرياء الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب و الضلال.

و من بين اولئك العلماء كبير مشائخه و هو الشيخ محمد بن سليمان الكردى [٢] الذى قال من جملة كلامه اليه : يا ابن عبد الوهاب انى أنصحك الله تعالى ان تكف

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى المتوفى ٧٢٨

(٢) المتوفى سنة ١١٩٤

لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به، من دون الله  
فعرّفه الصواب وأبّن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا  
سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة  
الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم اقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى: (وَمَنْ  
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ،  
جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* النساء: ١١٥) الآية من سورة النساء

«وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ:

وكذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الرد عليه و  
سماه: بـ «الصواعق الالهية في الرد على الوهابية»

وهناك مئات من الكتب ألفت كلها في الرد عليه وعلى دعوته الوهابية ولنذكر  
من بينها على الخصوص:

١ - الفجر الصادق في الرد على منكرى التوسل والكرامات والخراف. \*

٢ - جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي اضل العوام.

٣ - ضياء النهار لا يبطال شبه الأنوار.

٤ - الدرر السنية في الرد على الوهابية. \*

٥ - شواهد الحق في استغاثة سيد الخلق. \*

٦ - ضياء الصدور لمنكرى التوسل باهل القبور.

٧ - السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة.

٨ - النقول الشرعية في الرد على الوهابية. \*

فهذه جملة قليلة من قائمة الكتب المؤلفة قديما وحديثا في الرد على الوهابية وعلى  
مبادئها الخطيرة ولم اذكر عبارات مؤلفيها رغبة في الاختصار وخوفا من التطويل.

وبعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية بـ «الدعوة الدموية» وذلك نظرا الى أنها  
متى ما دخلت في عائلة أو في مدينة بادرت - كما هو مشاهد - الى القاء العداوة والبغضاء  
بين أهلها ثم لا يلبث او يكون الخلاف فالحصومة، ثم القتال، وإراقة الدماء.

فالدعوة الوهابية معروفة بهذه الصفات ومقتربة لها منذ فجر ميلادها الى يومنا هذا  
و التاريخ خير شاهد على صحة ما قلناه.

و نحن لو نظرنا الى احوالنا فيما قبل السبعينات اى قبل انتشار هذه الدعوة في  
ربوع بلادنا ثم نظرنا الى ما هي نحن عليه الآن من التباعد والتخالف والتقاطع من  
جاء هذه الدعوة، لوجدنا العلماء صادقين في هذه التسمية. ويخشى لو استمر هذا الوضع -  
لا قدر الله - ان تندلع حروب أهلية ومشاجرات دينية لاسبيل الى التخلص منها.

و أقول فان الدعوة الوهابية مهما بلغت من خطورة في عهد زعمائها الأولين فانها  
اليوم - و الحق اقول - قد تطورت و بلغت منتهى الخطورة في عهد أتباعهم المعاصرين. و  
خاصة أولئك الذين نعيش معهم في الزمان والمكان نسمع ونرى ما يقولون وما يفعلون. و  
انا لو اثقون من انه لو قدر للشيخ ابن عبد الوهاب ان يعود الى الدنيا ويشاهد هذه الكيفية  
التي عليها بعض اتباعه اليوم، لتبرأ منهم كما يتبرأ المصلح من المفسد. ذلك لانهم اتخذوا  
هذه الدعوة كسلاح لمحاربة المسلمين و وسيلة الى قطع الارحام والتفريق بين الأمة

هذا ولم تزل الدعوة الوهابية مقتربة بحصوماتها ونزاعاتها تقتفر من أرض لاخرى  
حتى وصلت الى جمهوريتنا «مالي» فتسابق اليها التجار والرعاة الذين رفعوها فوق  
مستواها وغروا بها الشبان والصبيان و بذلوا بكل مالههم من حول وقوة وظهروا على  
القضاء بما كان عليه السلف الصالح و على انكار اولياء الله تعالى و السادة الصوفية، و  
رموهم بما لا يليق للاراذل فضلاً عن الفحول الكمل افتراء على الله و اساءوا بهم الأدب و  
نصبوا مشايخ التربية اصناماً و تلامذتهم عباداً و ذكروا فيهم ما أنزه قلماً عن كتابته و  
كفى بذلك ظلماً وزوراً، و لم يعلموا ان لحوم أهل الله مسمومة و اكل السم سريع العطب  
و جاء في الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِيْ أَوْ آذَى لِيْ وَلِيَائِي فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ) رواه البخارى  
و في الحديث النبوى: (إِنَّ اللَّهَ شَرَّفَ الْكُفَّةَ وَ عَظَّمَهَا وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا هَدَمَهَا حَجْرًا حَجْرًا ثُمَّ أَخْرَقَهَا  
مَا بَلَغَ جُزْمَ مَنْ اسْتَحَفَّ بَوْلِي مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)

و عن السؤال متى دخلت الحركة الوهابية الى جمهورية «مالي»؟ و من أدخلها؟ و  
كيف انتشرت في مدنها وقراها؟

فالجواب: اننا لانعرف بالضبط تاريخ دخولها الى «مالي» ولا أول من أدخلها و لكننا نعرف بالحقيقة انها انتشرت هنا بواسطة بعض التجار و الرعاة و بواسطة بعض الطلبة المتوسطين من لاخبرة لهم بالفقه الاسلامي و انما بذهاب هؤلاء الى مكة المكرمة إما لأداء فريضة الحج أو للتعليم في المدارس هناك و بعد عودتهم الى أرض الوطن يؤكدون لأهلهم و ذووهم و لكل من يتصل بهم بأنهم قد وجدوا في مكة المكرمة ما يخالف دينهم الذي كانوا عليه أولاً و يلزمونهم بالتأكيد على اتباع هذا الدين و ترك ما سواه و نبذه وراء ظهورهم. و يزعمون بذلك انهم خرجوا من الكفر و دخلوا في الإسلام من جديد فيستحقون بأن يسموا أنفسهم سنيين و من لم يوافقهم على ذلك فهو عندهم يثن المشركين.

و من هنا يشرعون في الانكار و التغيير و يوجهون اللوم بفتاشرة الى الآباء و الاجداد و الى رجال الدين و علماء الامة و يحملونهم المسؤولية و يبالغون في قدحهم و الاعتراض عليهم و ربما يصقونهم بالمشركين أو بدعيين!!

و بما ان الناس مولعون — عادة — بالشئ الجديد فان هذه الحركة قد حظيت اقبالا واسعاً لدى الاوساط العامة. ذلك لكونهم يرون ان ما يقال عن مكة المكرمة أو بالآخرى ما يشاهد فيها قد يكون هو الدين القيم و ما عداه هو الضلال البعيد.

و فوق ذلك كله فليس من المفروض شرعاً ان يقتدى جميع المسلمين بأهل مكة بحيث تكون مخالفتهم في بعض المسائل الفقهية خروجاً عن الدين الاسلامي. فالمسلم حر في اقتداء أى مذهب من المذاهب الاربعة شاء، و هو حر في أخذ اية طريقة من الطرق الصوفية أراد، فلا ذنب عليه في ذلك ولا عيب



## الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع

ان تأثير الحركة الوهابية في مجتمعنا الوطني لأمر يبعث الى القلق ويهدد مستقبل المواطنين وذلك لمنعها اياهم التمتع بحسن الجوار واحترام بعضهم بعضا.

وقد ظهر للعيان توتر العلاقات الاخوية و قطع الوفاق بين ذوى القربى و اولى الارحام كما شوهد تغير الاحوال الاجتماعية من حسنة الى سيئة ومن سيئة الى أسوأ نتيجة لانفجار الثورة الوهابية في الآونة الاخيرة، وليس من السهل التغلب على هذه الظروف الحرجة التى تعانيتها فى الوقت الحاضر، و التى اخذ يفر فيها المرء الوهابي من اخيه الغير الوهابي بل ومن أبيه وامه و كل أصحابه يفر منهم فى حين لا ذنب لهم سوى انهم انخرطوا فى سلك السادة الصوفية أو رفضوا التعصب للدعوة الوهابية.

فالقادة الوهابية فى هذا البلد مازالوا مصممين على أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين أو الدنيا.

وعلى هذا يمكن القول بان الدعوة الوهابية - اذا كانت هذه شأنها - فهى متمسكة بأفكار خاطئة ومزاعم باطلة لا تتفق و الحقيقة الواقعة. فلونظرت بشئ من التأمل الى قادة هذه الطائفة ثم قارنت بين أقوالهم و أفعالهم علمت يقينا بان لهم اهدافا و غايات تدفعهم الى التوسع فى قدح اعراض المسلمين و هتك حرمتهم و الاعتداء عليهم بالظلم و العدوان.

فمن اهدا فهم: التفريق بين الامة الاسلامية لينتهزوا فرصة تضليل العوام و استغلالهم باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية.

اما الغاية التى يسعون الى تحقيقها هى اثبات السنية لهم خاصة، و تكفير جماعة المسلمين من غيرهم.

وهذا ان دل على شئ فإنما يدل على سوء الظن بالمسلمين او عدم معرفة الاسلام بالوجه الذى حدده الرسول عليه السلام و معلوم انه صلى الله عليه و سلم كان قد سئل عن الاسلام فأجاب: (هُوَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ

الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) أخرجه الترمذى

ومن هنا نتحقق خطأ أولئك الذين يكفرون المسلمين عمداً أو جهلاً بعد ما بين الرسول عليه السلام ما يجعل المرء مسلماً وبعد ما نهى عن تكفير المسلم.

والادلة الواردة للرد على مزاعمهم أكثر من ان تعد أو تحصى. فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم تكفير المسلم في عدة أحاديث منها: قوله عليه السلام: (إِذَا قَالَ الْقَرْنُ لَا حِيَةَ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا) رواه مالك و البخارى و الترمذى

وقوله: (لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَتَيْنِ) وقوله: (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا فِي حَقِّ الْإِسْلَامِ. وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) رواه البخارى و مسلم وقوله عليه السلام: (الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ) رواه البيهقى وقوله: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) الى غيره من الأحاديث المتواترة فكل واحدة من هذه الأحاديث تقتضى بأن لا يكفر المرء مسلماً مهما اغترب من ذنب

و نحب نتعجب كيف يتجاهل الوهابيون كل هذه الحقائق النبوية؟ وكيف يسمعون مخالفة الرسول في التمييز بين المسلم والكافر؟ وقد قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا\* النساء ١١٥)

هذا لقد علمنا بمقتضى الأحاديث الآتفة الذكر بأنه لا يجوز تكفير المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله و يؤدى قواعد الاسلام الخمس على الوجه المشروع.

فإذا كان العلماء قد أجمعوا على ان الكافر اذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة قد دخل فى الاسلام، له ما للمسلمين من حقوق و واجبات. فكيف بمن ولد فى الاسلام و نشأ فيه و رضى به ديناً و هو يكرر هذه الكلمة فى اليوم أكثر من مائة مرة؟ فكيف يجوز تكفيره؟ مع العلم بأن الناطق بالشهادتين — فى حكم الشريعة الاسلامية — يعتبر مسلماً بغض النظر عن خفايا قلبه فبعلم ذلك يخص الله وحده وجاء فى اسهل المسالك قوله: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى غَمَّتْ... كُلَّ امْرَأٍ إِيْمَانُهُ كَالدَّرَةِ)

و قال شراح هذا البيت: يجب الايمان بأن رحمة الله تعالى تعم كل أحد مات من

الانسان والجن ولم يكن له عمل صالح سوى الايمان بالله فقط...  
ثم نتساءل اذا لم تكن القواعد الاسلامية الخمس تمييزاً للمسلم اذن فأين يوجد المسلم؟ وما الذى يجعل المرء مسلماً؟ وما هى علاماته ومميزاته؟  
فعلى القادة الوهابية ان يفهموا بأنهم مخطون في هذه الناحية وعليهم ان يتراجعوا عن هذه المعتقدات الفاسدة، وان يفهموا بان الاسلام ليس ملكاً لأيمانهم فيدخلون فيه من يريدون، او يخرجون منه من يشاؤون. فليتحققوا بأن الاسلام إنما يسير دائماً على نهجه الواضح المستقيم وعلى حسب البرنامج الذى وضعه الشارع الأمين صلى الله عليه وسلم الذى هو لا ينطق عن الهوى.

ولا يخفى على احد منا موقف الوهابيين المتصلب المعارض لجمهور العلماء و المتمثل في الشعارات المضللة والدعايات الكاذبة. هبهم خاطئين حين زعموا ان الناس جميعاً قبل هذه الدعوة كانوا على ضلال ومعصية. وأنها هى الدعوة الوحيدة التى تعنى بإحياء السنة النبوية والمحافظة على التوحيد. عفا الله عنهم من هذه المزاعم اللاحقيقية التى لا حجة لهم بها ولا اساس لصحتها.

فنحن نستغرب جداً كيف تصور لهم أوهامهم هذه المزاعم العقيمة؟ فمن أين لهم تضليل الأمة الاسلامية جميعها أو تكفيرها مالم تعتقد العقيدة الوهابية؟ فكيف حال الامة في نظرهم قبل ميلاد الزعيم الوهابي وقبل انتشار دعوته الحديثة؟ فهل الشيخ ابن عبد الوهاب هذا الا كواحد من افراد البشر يصيب ويخطئ؟ أم هو في عداد المعصومين من الأنبياء والمرسلين؟ وهل من العدالة ان نصدق هو بتفرده وتبعه ثم نكذب غيره من اكابر العلماء وجهابذة الفقهاء؟

فهذا أمر لا يمكن — في اعتقادي — ان يقبله عقل مفكر مهما كان صاحبه غارقاً في بحر التعصب، وكيف ما كان مغروراً...

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن اقرب دليل للرد عليهم وعلى احباط مزاعمهم قوله عليه الصلاة والسلام: (لَا تَجْتَمِعُ أَقْبَى عَلَى ضَلَالَةٍ) اخرجته الترمذي عن ابن عمر وقوله: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أَقْبَى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ) رواه الحاكم.  
ومن اعظم خطاياهم بعد تكفير المسلمين إنكارهم على اولياء الله وكراماتهم مع

أنهم يصدقون بالاختراعات العصرية كالإذاعات والتلفزات والصواريخ و الهواتف السلكية واللاسلكية وغيرها من الآلات الكهربائية التي تحير العقول ، والتي لم يكن الإنسان الأول يحلم بها ولا يكاد يصدق بإمكان وجودها فهلا يؤمنوا بأن الذي أعطى للعقل البشري المهارة على اختراع هذه الأشياء العجيبة ، قادر على أن يعطى لأوليائه من الكرامات و خوارق العادات ما لا يدركه الفهم ولا يصل إليه القياس . وهو سبحانه و تعالى (قَالَ لِمَا يُرِيدُ \* البروج : ١٦) و (وَلَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ \* الانبياء : ٢٣)

و على الرغم من ثبوت هذه الأدلة فهناك جماعة غير قليلة من الوهابيين ينكرون على أولياء الله و كراماتهم ويرفضون حصول الكرامات و الخوارق لهم ، زعما بأن مثل هذه ، إنما يحصل للأنبياء خاصة دون غيرهم من أفراد البشر ، وينزلون هذه الكرامات و الخوارق ، منزلة السحر أو الكهانة . وهم في ذلك أقوال اعتذر عن حكايتها مراعاة للادب و لعدم مناسبتها لحضرة أولياء الله تعالى اللهم الا أن أقول سألنا الله و إياهم ، و أقال عثرائنا . وعثرائهم ولا يدري هؤلاء المقصرون بأن ما جاز للنبي معجزة يتجوز للولي كرامة و أن كرامات الأولياء و خوارقهم ثابتة في الكتاب و السنة . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع . منها قوله عز و جل في الأخبار عن السيدة مريم رضى الله عنها : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا \* آل عمران : ٣٧) و كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء و فاكهة الشتاء في الصيف . و قوله لها : (وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجُدُّكَ النَّخْلُ \* نُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا \* جَنَّتَا \* مريم : ٢٥) و كما ذكر القرآن قصة المرسلين الذين أرسلهم نبي الله عيسى عليه السلام الى أهل انطاكية ليدعوهم الى عبادة الله فصاروا يبرؤن الأكمة والأبرص و يحيون الموتى بإذن الله و ذلك كرامة لهم و معجزة لنبيهم عيسى بن مريم عليه السلام [١] و قد بين كتاب الله العزيز كثيرا من الكرامات و الخوارق التي وهبها الله لبعض أوليائه و خصائصهم العلمية و العملية .

و منها إن نبي الله موسى كان تلميذاً للسيد خضر عليهما السلام و كان قد استصحبه مدة من الزمن ليستفيد منه بعض العلوم . (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا \* الكهف : ٦٦) و أن آصف بن برخيا أحضر لنبي الله سليمان

(١) و ذلك عند قوله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون \* يس : ١٣)



عليه السلام عرش بلقيس في أقل من طريقة العين وقد كان الهدهد يدله على الماء.

فكل هذه كرامات و خوارق أثبتتها الكتاب الكريم بحيث لا يمكن انكارها ولكن مع هذا كله فلا يقتضى ثبوت هذه الكرامات أفضلية الأولياء على الأنبياء - كما يتوهم بعض الجهال - بل هي مئة من الله بها عليهم بصورة الخربة ولا يستغرب ذلك فقد يوجد في النهر ما ليس في البحر وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يكون للمفضول ما ليس للفاضل . ومعلوم أن نهاية مراتب الأولياء هي بداية مراتب الأنبياء فلا مطمع للولى أن يصل الى غبار النبي فضلا عن أن يماثله او يفضل منه . ولكن فمن الواجب علينا ان نحترم أولياء الله تعالى ونصدق كراماتهم ونعلم بأن الذى أيد الأنبياء بالمعجزات هو الذى أيد الأولياء بالكرامات فالكرامات قروح من معجزات الانبياء فكل كرامة ظاهرا ولى انما هي من معجزات نبيه وكذلك كرامة أولياء هذه الامة فهي من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولذلك كان انكار الكرامات انكارا للمعجزات وانكار المعجزات تكذيب للرسول و هو من الكفر الصريح والعياذ بالله . فلا ينبغي للمسلم - والحال هذه - أن ينكر على كرامات الأولياء مهما بلغت لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا اعتراض ولا شك أن الجهل خير من علم يؤدى الى انكار أولياء الله و كراماتهم .

فكل ما نحذر اخواننا المسلمين عامة، والوهابيين خاصة، أن يكفوا عن أذية أهل الله وأكل لحومهم . وان لا يبادروا الى معارضتهم في أية مسألة من المسائل الفقهية لكونهم أجدر من أن يكونوا على حجة وبصيرة مما هم فيه ولوانه مخالف للظاهر وقد قيل :  
(فَسَلِّمْ لِأَهْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ مُشْكِلٍ . لَذِيكَ لَدَيْهِمْ وَاصْبِرْ بِالْأَدِلَّةِ)

هذا ولا يجوز لأحد مهما كان عالما ان ينكر الشيء على اساس عدم وجود ذلك في علمه ، لان جوامع العلوم لم تتوفر لاحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم .

وانما الواجب عليه قبل الشروع في الانكار ان يعرضه على طرق الشريعة كلها و التى اشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (إِنَّ شَرِيعَتِي جَاءَتْ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَ سِتِّينَ طَرِيقَةً مَا سَلَكَ أَحَدٌ مِنْهَا طَرِيقَةً إِلَّا نَجَا) .

فإن لم يعرضه على هذه الطرق أولم تكن له معرفة بها أصلاً، ففي إنكاره خطر عظيم. وقال العارف بالله: [١]

وقال آخر: وَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي عِلْماً وَمَعْرِفَةً

حَفِظْتُ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

ويستفاد من الحديث المذكور انه لا يجوز اتهام المسلم العارف ولا إنكاره ما لم يخالف طرق الشريعة كلها، كما فعل ذلك عبد الرحمان الافريقى، الذى سولت له نفسه الامارة بالسوء أن يؤلف كتاباً فى النقد على الطريقة التجانية والهجوم على شيخنا وسيلتنا الى ربنا أبى العباس أحمد بن محمد التجانى<sup>[٢]</sup> وعلى خليفته المجاهد فى الله الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما وقد سمى كتيبه هذا: بـ «الأ نوار الرحانية لهداية الفرقة التجانية» وهو مطبوع يوزع مجاناً الى كل من يريده من المعارضين والمتقدين لذلك يسمى الوهابيون للحصول عليه ليزدادوا بغضا وحقدا للسادة الصوفية بصورة عامة و للتجانين بصورة خاصة...

و انا شخصيا لن اهاجم على عبد الرحمان الافريقى ولا أنتقم منه لعلمى بأنه إنما يحارب الله ورسوله بمعاداته لأولياء الله وأصفيائه. بدليل قوله تعالى فى الحديث القدسى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) رواه البخارى. وخصوصا هذا الول الربانى و العارف الصمدانى الشريف الحسنى احمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وارضاه الذى هو يعتبر واحداً من أبرز علماء الاسلام وعلما من اعلام الشريعة والحقيقة. فشرفه الدينى و النسبى، وتاريخه الحافل بالنشاطات الدينية و التوجيهات الربانية بالاضافة الى مرتبته الموهوبة و المكسوبة يغنينى عن الدفاع عنه و الاحتجاج له فمناقبه رضى الله عنه و مواقفه و اضعه ولا تحتاج الشمس الى دليل.

اما إنكار عبد الرحمان الافريقى على الطريقة التجانية ومبالغته فى النقد عليها و على خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنهم فهو كما قيل: «وَأَذَا أَتَيْتُكَ مَدَقَّتِي مِنْ نَاقِصٍ» فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ» او كقول الامام البوصيرى رضى الله عنه. «قَدْ تُكْرِ الْقَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ» وَ يُكْرِ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

هذا و تتوفر لدى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه شواهد الكمالات الحسية و

(١) وهو السيد الحاج مالك بن رضى الله عنه فى كتابه فاكهة الطلاب ...

(٢) المتوفى ١٢٣٠ هـ.

المعنوية و حسبه فخرا كونه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيه غير هذا التعريف الذهبى لكفى.

فمن كانت هذه سيرته و هذا تعريفه لا يمكن لعبد الرحمان الافريقى و أمثاله ان يدنسوا عرضه او يشوشوا سمعته و لا يتضرر القمر بنباح الكلاب

و أعرف يقينا بأن تأليفه لهذا الكتاب سيمثل له كالباحث عن حقه بظلمه، و أنه سيحاسب عليه لما فى الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزْرُهَا وَ وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

و هذه المؤلفه من أسوأ المحدثات لما فيها من المنشورات القطيعه و العبارات الشنيعة الموجهة مباشرة إلى الشيخ أحمد التجانى، و الى الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما. و التى تهدف الى تشويش سمعة الطريقة التجانية و الى تجميدها و تحريفها عن موضعها.

و إذا كان هذا التأليف لا يأمرنا الا بترك الطريقة التجانية التى مدارها الاستغفار، و الهيلة، و الصلاة على النبى. و لا ينهانا الا من محبة السادة الصوفية و موالاة أولياء الله تعالى. فما الفرق — يا ترى — بين هذا المؤلف المسبوق و بين اولئك الذين يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف..

و هناك من الوهابيين من اعرف أسماءهم و ألقابهم يأخذون «كتاب جواهر المعانى» إلى الاسواق و إلى أنديتهم العامة رغم مستواهم السافل فى العلوم و الثقافة فيشرعون فى مطالعته، جاهلين او متجاهلين عن مستوى هذا الكتاب الرفيع و ينظرون إليه بعين الانكار و النقد و الاستهزاء و يؤولون عباراته بأقبح التأويلات حين لا يعرفون أن لأولياء كلاما لا يفهمه الا الخواص و رحم الله من قال:

«كَلَامُ الْأَوْلِيَاءِ لَسْتُ أَفْهَمُ \* لَا نَنْبَى أَنَا أَنَا وَهُمْ هُمْ»

و يقول هؤلاء فى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه — على مرأى و مسمع من الناس — ما هو بريئ منه. و يخوضون فى قدح عرضه، و هتك حرمانه ما امكن لهم الخوض و يتنافسون فى ذلك حسب و قاحتهم و عنادهم و يمكرون به، و بطريقته و يمكر الله بهم و هو خير الماكرين وهكذا شاءت الارادة الالهية ان يكون لأولياء الله فى كل زمان و مكان

أعداء يتحزون صدهم ويتأمررون - ليطفئوا نور الله بأفواههم - ويقولون في حقهم منكراً من القول وزوراً. يا أيها الله إلا ان يتم نوره ولو كره متأمررون.

وقد كانت هذه الفرقة المتطرفة اليد الطولى في هذا المضمار لما جبل أفرادها من الشغف للطعن بأولياء الله وقذح اعراضهم وهتك حرمتهم وإساءة الأدب بهم بصفة لامبرر لها ولم يسبق لها مثيل.

## الوهابية ومنعها التوسل بالأنبياء والصالحين

قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع والبحث عن أحكامه وأهدافه يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسى الذى يمثل جوهر المشكلة ولب الخلاف بين الوهابيين المتطرفين والمسلمين المعتدلين. ذلك لأن الوهابيين ينعون التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين وببالغون في نفيه وانكاره بل ويحرمونه اطلاقاً ويزعمون انه من الشرك بالله. ويحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين ومن يعبدون الأصنام على المتوسلين والمستغِيثين بالأنبياء والصالحين. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَئِنْ يَدْعُوا الْقِيَامَةَ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* الاحقاف ٥) وقوله جل شاناه: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا \* الجن: ١٨) وقوله: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ \* يونس: ١٠٦)

ويزعمون أن كل من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو توسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداهم أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً في جملة هؤلاء المشركين وداخلاً في عموم وعيد هذه الآيات. وهو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، و يتخذ من دون الله شركاء. ومن هنا ثارت ثائرة العداوة والخلافات وقامت القيامة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم بصفة لا يمكن تسويتها طالما يُصر الوهابيون على هذا الموقف المتطرف المتمثل في تضليل الأمة أو تكفيرها والمتعارض لنصوص الكتاب والسنة والاجماع.

والوهابيون - في هذا التأويل البعيد - معذرون من حيث الخطأ في فهم معنى كلمة «الدعاء» التي تأتي حيناً بمعنى العبادة وأحياناً بمعنى النداء وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لا غير. ولذلك يحرمون نداء غير الله كما تحرم العبادة من دونه تعالى، وحيث ذهبوا هذا المذهب ووقفوا عند هذا الحد فهم مقصرون عن ادراك كنه هذه الكلمة لغةً واصطلاحاً فيجب أن نعذر لهم أو ننذرهم.

وكلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معانٍ:  
 منها: العبادة كقوله تعالى: (أَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا \* الجن: ١٨)  
 ومنها: النسبة كقوله تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ \* الأحزاب: ٥) أي انسبوهم إليهم  
 ومنها: النداء كقوله تعالى: (وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ \* البقرة: ٢٣) أي نادوهم

ومنها: السؤال كقوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ \* المؤمن: ٦٠) أي إسألوني  
 ومنها: الدعوة إلى الشيء كقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ \* النحل: ٩٢٥) الآية  
 ومنها: التمني كقوله تعالى: (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ \* يس: ٥٧)  
 ومنها: القول كقوله تعالى: (دَعَاهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ \* يونس: ١٠)  
 ومنها: التسمية كقوله تعالى: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا \* النور: ٦٣)

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية أن كلمة الدعاء تأتي بمعنى التوسل وقد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغةً وشرعاً. ولا سبيل إذاً إلى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة اهـ فتأمل.  
 وكلمة «الدعاء» في جميع هذه الآيات الأنفة الذكر وما أشبهها معناها العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الإنسان حياً أو ميتاً يجوز شرعاً وضروري أيضاً لتعلقه على الحوائج الشرعية والمعاملات الدينية والدنيوية وقد جاء نداء الأموات من الأحاديث الواردة في زيارة القبور كقول الزائر: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّا أَنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِأَحْيَُونَ) ففي هذا النداء للاموات

خطابهم. وإنما يجب ان نميز بين كلمة «الدعاء» التى بمعنى العبادة والتى بمعنى النداء؛ كيلا نضل ولا نُضل...

اما التوسل فجائز شرعا ومرغوب فيه أيضا لانه من فعل الأنبياء و السلف الصالحين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وقد توسل ابونا آدم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما فى الحديث: (لَمَّا افْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ اسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا مَا عَفَرْتُ لِي فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أُخْلُقْهُ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي رَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِسْمَكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذَا سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ) رواه الحاكم وصححه الطبرانى.

والى هذا الحديث أشار الامام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور لما سأله وهو بالمسجد النبوى فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ام أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال له الامام مالك رضى الله عنه ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل أستقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك...

وأما صدور التوسل من النبى صلى الله عليه وسلم فقد صح فى احاديث كثيرة منها قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ)

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب رضى الله عنهما الحدها صلى الله عليه وسلم فى القبر بيده الشريفة وقال: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مَذْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله فى حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقى وابن أبى شيبة بإسناد صحيح: ان الناس اصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه الى القبر الشريف وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام واخبره انهم يسقون وكان كذلك.



فإتيان هذا الصحابي الجليل الى القبر الشريف ونداءه للرسول عليه السلام ليطلب منه ان يستسقى لآلته فهو دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم القربات وروى عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال: «اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فستقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاستقنا» قال فيسقون انتهى وفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجة على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم في حقه: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ)

ومما ذكر في هذا الباب دليل على ان التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضى الله عنه ذلك، عند القبر الشريف.

وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضا لموافقته، بفعل سيدنا عمر بن الخطاب. الذى توسل الى الله بسيدنا عباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ...

ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة قال فيها:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ      وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةٌ  
وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ      إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ  
وَكَُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا دُوشَافَاعَةٍ      بِمُغْنٍ فَتِيلاً سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ»

فلم ينكر عليه رسول الله قوله أذننى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا. و كذلك من أدلة التوسل مربية صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة رسول الله فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها:

«أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ رَجَاؤُنَا  
وَكَئُتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا»

ففيها النداء بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قوله يا رسول الله أنت

رجاؤنا. وقد ذكر العلامة ابن حجر<sup>(١)</sup> في كتابه المسمى بالخيرات الحسان ان الامام الشافعي كان يتوسل بالامام ابي حنيفة رضى الله عنهما وقد ثبت ايضا ان الامام احمد بن حنبل كان يتوسل بالامام الشافعي وقد صح ان الشافعي رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوي بأبيات قال فيها:

«أَلِ النَّبِيِّ ذَرِيَّتِي      أَرْجُو بِهِمْ أَغْطَى غَدَاً  
هُمْ إِلَيْهِ وَسَيَلْتِي      بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي»

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله عليه وسلم وبعضها عن أصحابه الكرام وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف الصالحين وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئا كثيرا من التوسل ولم ينكر عليهم احد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون الذين عمدوا الى تحريمه وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الأمة من العلماء والعباد والزهاد وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ( ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى \* الزمر: ٣ ) «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»

وحاصل شبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء — احياء — وأمواتا — اشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولي مثلا: افعل لى كذا وكذا او نجنى من كذا وكذا فأراد هؤلاء المانعون للتوسل ان يمينوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة.

نعم نحن نوافق مع هؤلاء المانعين في ناحية ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الايهام. ولكن من ناحية اخرى نقول لهم:

اذا كان الأمر كذلك وقصدكم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا

العامّة من تلك الألفاظ الموهمة وأنامروهم بسلوك الأدب في التوسل دون تكفيرهم أو إشراكهم مع أن تلك الألفاظ يجب حملها على المجاز العقلي وهو جائز ومستعمل على السنة جميع المسلمين ووارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة. ألا ترى أنه يجوز لأحدنا أن يقول أعطاني فلان كذا ومعنى فلان عن كذا، أو تعني زيد أو صرني عمر، مع العلم بأن الله تعالى وحده هو المضر والنافع وهو المعطى والمنع فإستناد هذه الأفعال إلى غير الله تعالى يعتبر مجازاً عقلياً لا يؤدي بقالته إلى الكفر ولا إلى الشرك وله شواهد كثيرة في الكتاب والسنة منها قوله تعالى: (وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ \* طه: ٨٥) وقوله: (وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ \* البقرة: ٢٥١) فإستناد الاضلال والقتل هنا إلى السامري وإلى داود مجازي. وإلا، قال الله تعالى وحده هو المصل والمميت وجاء في الحديث كما في صحيح البخاري في مبحث الحشرو وقوف الناس للحساب يوم القيامة. (يَتِمُّا هُمْ كَذَلِكَ إِسْتَعَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُخَمِّلٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فإستناد الاستغاثة إلى هؤلاء الأنبياء مجازي والمستغاث به، حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة وبراهين قاطمة لجواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين. وفيها الكفاية لمن أراد الله له الهداية والتوفيق وأما من انطمرت بصيرته وانسدت حواسه. فما تغني عنه الآيات والنذر ولا يفيد العظة والتذكير.

ونحن في توسلنا بالأنبياء والأولياء لا نعتقد أنهم يستحقون العبادة ولا أنهم يخلقون شيئاً أو يملكون ضراً أو نفعاً، ولا نعتقد أن لهم تأثيراً في شيء من الأشياء وكلما هنالك بيننا وبين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود من العدم والعائد إلى الفناء. لا كتعظيم الخالق المعبود الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فتدأونا بهم لا معنى سوى التبرك بأسمائهم، والاستئناس بذكرهم لكونهم عباداً مكرمين، اصطفاهم الله وهداهم، وخصهم بحظوة من عنایت الربانية، وقيضة من نفعاته الرحمانية، فبه ذكرهم تنزل الرحمت. وبه تحيي القلوب وتنشط العضلات.

وهذه هي غاية ما نقصد في التوسل بالأولياء والصالحين وليس فينا من يركع أو يسجد لنبي، أو لولي، أو لشيخ! ولكننا لا نعبد إلا الله ولا ندعو إلا إياه. وفي الحديث: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِغُلَامٍ مَرِيٍّ قَاتِلٌ) ونحن نحمد الله تعالى من المؤمنين

الموحدين بكل ما للكلمة من معنى.

فالتوحيد عقيدتنا والعمل به، شريعتنا فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نهين بشريعتنا. (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يوسف: ٣٨) اما اولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذب عن التوحيد و يجوزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الامور الدنيوية و يحرمون ذلك في الأموات قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات مع أنه لا تأثير لاحد في الحقيقة حياً كان او ميتاً وإنما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وحده...

فلينتبه الوهابيون لهذه الحقائق وليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذي يشهد أن لا اله الا الله و أن محمداً رسول الله. ولمزيد من التوضيح في هذا الموضوع فإن منكرى التوسل بالانبياء والصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج التي فرضها الله علينا و التي من بينها: الطواف بالبيت العتيق و تقبيل الحجر الاسود والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات.

و معلوم ان هذه الاشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع ولكن قد شرفها الله تعالى و عظمها وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها و الدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والاخروية.

و نحن نعلم علم اليقين بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الاقدار ولكن هل يقال ان من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا! و كلا!

فاذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الانام فعند ذكرهم تنزل الرحمت و بسبب و جودهم ترفع النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم و هو ان نداء الأنبياء او الأولياء نوع من انواع الشرك لانه نداء لغير الله ويقولون بأن ظاهر النداء لا بد و ان يدل على ان المناذرى يعتقد من المناذرى به القدرة او التأثير. و حينئذ فاعتقاد القدرة او

التأثير من احد غير الله تعالى شرك لاحالة.

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها الاجماع. ولكن لو استسلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف نجد ان ظاهر الصلاة والصيام والنطق بالشهادتين يدل هو ايضا على الايمان بالله والتصديق بما جاء به الرسول الكريم. و إذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قرروا ان يكفروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا ان يعترفوا لهم الاسلام بظاهر الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين. فهل هذا — ان صح التعبير — إلا نوع من الجمود. أو أثر من آثار الجهل الذى هو أشد من الكفر...

و خلاصة الكلام: فان المحذور شرعا فى التوسل هو اعتقاد التأثير من احد غير الله تعالى كائنا من كان وهو شرك اتفاقا سواء كان ذلك الاعتقاد فى نبي او ولى او صالح أو حيوان أو جماد اوفى أى شئ كائن ما كان وأما من لم يعتقد التأثير فى احد غير الله تعالى فلا إثم عليه وليس فى مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالما.

اما محبة أولياء الله تعالى والصالحين وصحبهم لله والتصدد لخدمتهم والتادب لهم والتبرك بهم فكلها جائز لا يمنعها الشرع بل يأمر بها ويحث عليها لانها من اعمال البر الموجبة للفوز والسعادة فى الدارين. ولا ينكر ذلك منكر لشئونها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة. و أصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها فى القرآن الكريم... وإن شئت فاقرأ قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا \* الكهف: ٩)

فإن هذا الكلب لم يصل الى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم لقد احسن من قال:

«وَ اخْتَرْنَا مِنَ الْاِخْوَانِ كُلَّ مَهْتَدٍ  
إِنَّ الْقَرِيبَ بِالْقَرِيبِ يَفْتَدِي»  
«وَصُحْبَةُ الْأَخْيَارِ لِلْقَلْبِ دَوَاءٌ  
تَرِيدُ فِي الْمَرْءِ نَشَاطًا وَقُوًى»

واخيراً نحتم هذا الموضوع بتحذير أولئك الذين يكفرون المتوسلين والمستغِيثين بالأنبياء والصالحين ان يكفوا عن ذلك لانه قد يفضيهم الى ارتكاب الذنوب ويؤدى الى

تكفيرهم لجميع الامة او اكثرها وهو مستحيل لقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ  
لِلنَّاسِ \* آل عمران: ١١٠) الآية من سورة آل عمران و لقوله عليه الصلاة والسلام:  
(لَا تَجْتَمِعُ أَقْنِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذی

## ما هو الشرك؟ وكم أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك احدا يستحق العبادة من دون الله تعالى او  
هناك من يشارك الله في الالهية او يساعده في الایجاد و التأثير.

و من الشرك أيضا الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه او لغيره جلب المنافع او  
دفع المضار أو هناك من يمكن له التصرف في الامور و التأثير في الكائنات من تلقاء نفسه.  
و مهما اعتقد المرء شيئا من هذه المذكورات في واحد من المخلوقات، سواء  
اعتقدها في نبي او في ولي او في شيخ او في حيوان أو في جماد كان مشركاً حقا بالاجماع.  
لأن المخلوقات كلها على اختلاف أشكالها و تنوع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقا وهي  
لا تملك جلب المنافع ولا دفع المضار ولا قدرة لها على التأثير في حد ذاتها فاعتقاد ذلك على  
أى مخلوق ، آدمى كان او غيره هو الشرك الأكبر وهو الكفر الصريح.

هذا و ليس من المستحيل ولا من الغريب ان يقع بعض الناس غير المعصومين في  
اودية الكفر والضلال بينما ينهمك البعض الثاني في المعاصي و المنكرات حين يتقيد  
البعض الآخر بالشریعة الاسلامیة و السنة الغراء.

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة و الظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين و  
جماعاتهم لان الله تعالى قد خلق الناس و هم مختلفون في الذكاء و الغباوة و الضعف و  
القوة و متفاوتون في الجهل و المعرفة و الاجتهاد و التقصير و تبعا لهذا الاختلاف الطبيعي و  
التفاوت الفطري فمنهم من يقترب من الاسلام الى حد مرضى عنه بحيث ياتمر الأوامر  
و يجتنب النواهي، و منهم من يبتعد عنه و ينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل  
فرد و طبيعته و الى تلك المراتب متفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ



الَّذِينَ أَضَلَّقَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَاطْر: ٣٢) ولكن هذا الأبتعاد لا يخرج المسلم المقصر عن دائرة الاسلام مادام يدين بالولاء لهذا الدين الخفيف ويتسبب اليه فاذا صدر من المسلم بعض الأقوال او التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر وهولم يرد بها تغيير إسلامه ولا ارتداد عن دينه فلا يحكم عليه بالكفر ولا بالردة ومهما تورط المسلم في المآثم واقترف من جرائم فهو مسلم، لا يجوز اتهامه بالردة او الكفر وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِيَلَتَا وَصَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَتَحْلِيهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ) وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من ان يقذف بعضهم بعضا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية وقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر: (إِذَا كَفَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَخَذَهُمَا)

ولا يعتبر المسلم خارجا عن الاسلام ولا يحكم عليه بالردة الا اذا انشرح صدره بالكفر واطمأن به قلبه ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى: (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ۖ فَالْجَنَّةُ: ١٠٦) ويقول الرسول عليه السلام: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)

ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشي عن تكفير كل من انتسب للاسلام حتى انهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم وذلك دفعا لضررهم لا لكفرهم.

هذا ولما كان ما في القلب غيبا من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وحده كان ولا بد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل.

وقد نسب الى الامام مالك رضى الله عنه انه قال: من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل امره الى الايمان.

فالشرك هو الكفر باللفظ والمعنى وبالجملة والتفصيل وهما ضد التوحيد المقرر من أصل الاديان السماوية عامة. ومن أصل هذا الدين الاسلامي خاصة. بشهادة الله في كتابه العزيز حيث يقول تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ آل عمران: ١٨)

فالشرك بالله هو الكافر به الجاحد بوحدانيته المكذب بالأنبياء والرسول وبما جاؤا به

من عند الله من الدين والشرائع وهو اعظم أنواع الضلالة واشدها على الله وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي. لقد صرح القرآن الكريم ونبه في عدة آيات عن خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلنا بأن الشرك لظلم عظيم. وقال جل من قائل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ النساء: ٤٨) وقال: (أَنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ المائدة: ٧٢) وقال مخاطبا لحبيبه المصطفى: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لَتَعْبُثَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ الزمر: ٦٥)

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز لا تترك مجالا للشك في أن الشرك لعظيم وعواقبه وخيم.

هذا وينقسم الشرك الى ستة أنواع. شرك الاستقلال وهو إثبات الهتين مستقلتين كشرك المجوس، شرك التبعية وهو تركيب الآله من عدة آلهة كشرك النصارى، شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه الى الله زلفى كشرك مقدمي الجاهلية، شرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية، شرك الاسباب وهو اسناد التأثير للاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك، شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء لقوله عليه الصلاة والسلام: (الرِّيَاءُ هُوَ الشَّرُّ الْأَصْفَرُ) «اخرجه احمد»

فحكم الاربعة الاولى الكفر بالاجماع. وحكم السادس المعصية من غير كفر بالاجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبيعتها فهو كافر بالاجماع ومن اعتقد انها تؤثر بقوة اودعها الله فيها، وانها اسباب عادية فقط. وقد تتخلف عن مسبباتها في بعض الاحيان، والمؤثر في الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

وعلى هذا فان الشرك في الدين الاسلامي ضربان: أحدهما الشرك الجلى، وهو الاشراك في العبودية، وذلك اعظم كفر ونعوذ بالله منه. والثاني: الشرك الخفى وهو مراعاة غير الله معه في بعض الامور كأعمال المرائين وقد ورد في الحديث النبوى: (الشَّرُّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ ذَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّبَاءِ) ويعنى بذلك «الرياء» لقوله عليه

السلام في حديث آخر: (الزَّيْنَاءُ هُوَ الشَّرْكُ الْأَضْعَفُ) رواه أحمد  
فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء لا يخرج المسلم عن دائرة الاسلام، وانما  
يحبط الاعمال فقط كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ  
عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيَّرَ اللَّهُ فِعْلَهُ مَرْذُوءًا عَلَيْهِ)  
واما الكفر فهو ايضا على اربعة اقسام: كفر الانكار، وذلك بان لا يعرف الله  
اصلا ولا يعترف به و كفر الجحود، و كفر المعاندة، و كفر النفاق، فمن لقي ربه بواحدة  
من هذه لم يغفر له. و يغفر الله ما دون ذلك لمن يشاء.  
فأما كفر الانكار، فهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكره من التوحيد و  
العبادات.  
واما كفر الجحود فهو ان يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وجنوده من  
شياطين الانس والجن.  
واما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقلبه و يقر بلسانه ولا يدين به ككفر  
ابى جهل واضرابه.  
واما كفر النفاق فهو الاقرار باللسان وعدم الاعتقاد في القلب كالمنافقين الذين  
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم في ذلك الى يوم القيامة.  
والكفر — على وجه التحديد — انما يكون بانكار الضرريات من الدين  
الاسلامي، كانكار وجود الباري و وحدانيته، وانكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم،  
او رسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام او انكار الفرائض كوجوب الصلاة او  
بانكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التي بنى عليها الاسلام.

## الوهابية وإنكارها للبدع مطلقا

يفتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين والتوجيه اليهم انتقادات حادة وخارجة عن الموضوع ويحاربونهم بشتى الطرق والوسائل.

فمن ذلك القاؤهم على المسلمين شبهات للتلبيس عليهم دينهم وتشويش عقائدهم ويحاولون احباط اعمالهم وبطردهم عن حظيرة الاسلام وإبعادهم عن حدود السنة. وهاهم ايضا ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها وما لايجوز انكاره ويحتجون بالحديث القائل: (كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) رواه ابو داود وقد ساقهم ظاهر هذا القول الى تكفير جماعة من المسلمين وذم كثير من الابرياء ولوانهم فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون.

فالكل في اللغة العربية يأتي بمعنى البعض والبعض يأتي هو أيضا بمعنى الكل. فتأمل فقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة من العام المخصوص.

والبدعة كما ذكرها العلماء والفقهاء تنقسم الى خمسة اقسام: واجبة، و مندوبة، ومباحة، ومكروهة، وحرام. وكلها مفصلة في الكتب المطولات. فمن لم يقدر على تمييزها كلها فحقه السكوت والا خيف عليه ان يحلل الحرام او يحرم الحلال وكلاهما ممنوع شرعا وفي الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم والنسائي

وهذا الحديث اقوى دليل على ان البدعة اذا كانت حسنة فهي داخلة في عموم الشريعة المحمدية، وانكارها هو البدعة المحرمة والدليل عليه في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ \* يَس: ١٢)

وإذا تأملت الحديث المذكور علمت يقينا بأنه صلى الله عليه وسلم قد اجاز لنا ابتداع ما هو حسن و سماء سنة وجعل فيه الأجر للذي ابتدعه أولا، ولمن عمل به، الى يوم القيامة ثانيا ولا يسمى شيء بدعة حتى يخالف صريح الكتاب والسنة فمتى وافقهما فهو سنة حسنة يكون لمبتدعه أجره وأجر من عمل به، الى يوم القيامة.

قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صلاة التراويح. «نِعَمَتِ الْبِدْعَةُ

هَذِهِ»

هذا ولا بد من التمييز بين البدعة المستحسنة و البدعة المستقبحة و الاعتراف  
بواقعية كل منهما وإلا فلاحمال للانكار...

و معلوم ان العلماء قد اشترطوا لجواز النهى عن المنكر شرطين: الأول معرفة المنكر  
و الثانى أن لا يؤدى نهيه الى ارتكاب ما هو أعظم منه

و أكثر الوهابيين فيما يكرونها اليوم، من البدع و المكروهات يرتكبون اعظم  
منها لأنهم بأنكار هذه البدع يكفرون المسلمين الموحدين الذين هم فى واد و الكفر فى واد  
— لاجرم — ان تكفير المسلم الموحداً أكبر و اخطر من ارتكاب بعض البدع و المكروهات.  
و أعجب شئ منهم هو انهم يتأثرون للبدع و المكروهات و ينكرون عليها بشدة،  
أكثر مما ينكرون على المحرمات كالكذب و الغيبة و السخرية و نحوها من الكبائر. و قلما  
يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر العاشية تأثيره للبدع و المكروهات و شأنهم هذا شأن من  
بنى قصراً و يهدم مصراً. و كان عليهم ان يقدموا الأهم فالأهم..

ولا يخفى ان القاعدة الاسلامية تقتضى ان لا يقول أحد قولاً ولا يفعل فعلاً حتى  
يعلم حكم الله فيه، و إلا فهو على خطر يخشى منه تحريم الحلال او تحليل الحرام.. ولا  
يعتنى بهذا اننا نجوز البدع كلها او تسعى الى تشجيع البديعين و المخالفين، بل بالعكس!  
فنحن ضد البدع المخالفة للكتاب و السنة و ضد الاوهام و الخرافات الباطلة ايا كان  
مصدرها تسعى الى قمعها و القضاء عليها بكل ما اوتينا من حول و قوة. و لكننا فى نفس  
الوقت نعتز بان هناك بدعاً لا بأس بها اذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات  
او المسنونات لأن كل ما يتوصل به الى الواجب واجب. و ما يتوصل به الى السنة مندوب.  
و نؤمن كذلك بان البدع - كما ذكرها الفقهاء - تنقسم الى خمسة اقسام واجبة،  
و مندوبة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. لكل واحدة منها حكمها و منزلتها.

و لذلك نرى وجوب التمييز بين البدعة الحسنة و البدعة القبيحة لنسمى الأولى  
سنة كما فى الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)  
و نسمى الأخرى بدعة كما فى حديث آخر: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)

ولا ينبغي ان نحكم على البدع كلها من خلال ظاهر الحديث القائل كل بدعة ضلالة. لعلنا بان هناك اشياء نستعملها اليوم في شئوننا الدينية والادارية تمثيلاً مع تطور العصر الحديث مع أن تلك الاشياء لم تكن موجودة ولا هي مستعملة في حياة الرسول ولا في زمن الصحابة وإنما ابتدعت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم.

وإذا صح القول بأن كل ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة موجبة للدخول في النار فكيف بنا ونحن نتوجه كل سنة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن طريق الجو أو عن طريق البواخر والسيارات؟ مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة قط بواسطة هذه المخترعات الحديثة ونعلم ان مسجده صلى الله عليه وسلم لم يكن مجهزاً بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما هي الحال في مساجدنا اليوم ولم يبلغنا قط انه صلى الله عليه وسلم صام أو أفطر بإخبار الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها.

و اذا كانت عبادتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول ولم يباشر بها في حياته، فمن ينجو منا؟ ومتى يمكننا تصديق قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذی

وقد قسم ابن عبدالسلام [١] الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال: البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب و السنة ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه. ومنها محرمة كمذهب القدرية والجبرية و المجسمة. ومنها مندوبة كاحداث الروابط والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر و كل إحسان لم يعهد في العصر الاول. ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف. و منها مباحة كالصافحة عقب صلاة الصبح و العصر و التوسع في الأكل و المشرب و اللبس وغير ذلك.

ومن البدع المستحسنة أيضاً الكتب و التصانيف فهي محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة واما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة بعد وفاة جميع الصحابة و جملة التابعين رضي الله عنهم اجمعين.

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .



## بيان في احكام الطرق والأوراد الصوفية

هذا ومن الجدير بالذكر ان من الوهابيين من ينكرون الطرق و الاذكار الصوفية كالتجانية والقادرية والشاذلية ونحوها ويرفضونها رفضا بتا ويرونها من البدع القبيحة ويقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون ويحملون الناس على تركها بكل مالديهم من حول وقوة. ويستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا \* المائدة: ٣) وكقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ \* الانعام: ١٥٣):

ويزعمون بأن هذه الاوراد هي السبل المعنية في نص الآية. وجوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بعد المشرق من المغرب فهذه الآيات وما شاكلها لا علاقة لها بنفى الورد أصلا وقد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشا وناهيك عما فيه من تحريف القرآن الكريم وافتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات ومعانيها معروفة بتقرير الفقهاء والمفسرين ومن اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

اما الطرق الصوفية — كما يمكن ان نعرفها — إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه بشروط و أنظمة معينة تتفق مع مبادئ الاسلام وأهدافه. و اركانها ثلاثة وهي الاستغفار، و الهيلة، و الصلاة على النبي. و المهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية — في نظر السادة الصوفية — هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التي أمر الله عباده بذكرها بعد اداء فرائضهم قال الله عز و جل: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ \* النساء: ١٠٣) و امثال أمره تعالى بقوله: (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا \* البقرة: ١٥٢) و قوله: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ \* المائدة: ٢)

وقد رأوا أن التعاون على ذكر الله و الصلاة على نبيه أفضل وأهم من جميع انواع

التعاون لقوله تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ \* العنكبوت: ٤٥)  
هذا ومن المعلوم بالضرورة ان هذه الاذكار التي ينكرونها مأخوذة كلها من  
الكتاب والسنة وهي دائرة بين الاستغفار، والهيلة، والصلاة على النبي صلى الله عليه و  
سلم.

واما الاستغفار فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها  
قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً \* النصر: ٣)، (وَإِنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ  
تَوْبُوا إِلَيْهِ \* هود: ٣)

واما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها فمنها قوله عليه الصلاة  
والسلام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً وَاسْتَغْفِرُوا فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)  
رواه مسلم. وقال عليه السلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ  
اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ ذَنْبٍ وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ذَنْبٍ) رواه  
البيهقي

اما الصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ  
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً \* الاحزاب: ٥٦) وفي  
الحديث: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ مِائَةً وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ) رواه مسلم

اما الهيلة — لا إله الا الله — فقد قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ  
لِنَفْسِكَ \* محمد: ١٩) وقال عليه السلام: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه ابن ماجه و  
النسائي. وقال أيضا: (أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالتَّيْسُونُ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه مالك بن  
انس عن طلحة

فمن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار  
المذكورة واتخذها السادة الصوفية طرقا لهم يهدف التقرب الى الله والوصول اليه لا غير فمن  
زعم ان لهم غرضا غير ذلك او هدفا دون هذا فقد افترى وقد تبين انها مأخوذة كلها من  
القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فلا ينكر عليها الا الجاهل الأحق أو السفیه المطلق.

وقد بشر الله الذاكرين بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرَّاتٍ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الاحزاب: ٣٥) وقال ايضا: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة ١٠) فلا يضرننا اذا انكار المنكر بما هو موافق للكتاب والسنة.

هذا وقد ورد في كتاب «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» لمؤلفه الحاج سعد بن عمر بعد ان اورد جملة من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة ان لا اله الا الله اذكار حث عليها الكتاب والسنة ورغبا في ذكرها ووعد الله عليهما ورسوله الثواب الجزيل وغفران الذنوب والدخول في الجنان وان الرسول عليه السلام واصحابه الكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناء على هذا نصرح بكل وضوح ان الورد التجاني الذي ليس إلا كواحد من هذه الأذكار الجليلة لا يكون بوجه من الوجوه حراما أو بدعة قبيحة كما لا يصح القول بأن الشيخ احمد التجاني رضى الله عنه اخترعه من عند نفسه بل هي أذكار قرآنية محضة لا غبار فيها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين لان الدين قد تم قبله لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة: ٣) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَفْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ) رواه مالك رحمه الله نقول وأى دين تم قبل لا اله الا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان هذه الألفاظ الثلاثة هي اركان الورد التجاني وعليها مداره فان كان القائل يعنى بتمام الدين الاسلامي نقول فان الله تعالى جعل لا اله الا الله مفتاحه والاستغفار مذهب ذنوب أهله والصلاة على النبي معرفة جميل نبيه وقد نطق بها الكتاب والسنة وعمل بها الرسول عليه السلام واصحابه الكرام والصالحون من امته وسيعمل بها المسلمون الى يوم القيامة سواء كانوا تجانيين او غير تجانيين فلا نجاة لاحد من يتدين بالدين الاسلامي دونها.

هذا وللطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الاسلامية وأثر بارز في التأليف بين قلوب المسلمين وجمع كلمتهم وحملهم على التمسك بالكتاب والسنة، وتعمير بيوت

آذِن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه بالصلاة و التسبيح و التهليل بالغدو و الآصال.  
و تعتبر الطريقة التجانية بيت القصيدة فى نظم هذه الطرق الصوفية و قد اخطأ من  
انكر على هذه الطرق الدينية و زعم انها بدعة مخالفة للكتاب و السنة او اتهم زعماءها و  
اعترض عليهم.

هذا ولا ينكر أحد بان الاسلام ما انتشر هنا فى افريقيا السوداء الا بفضل جهود  
شيوخ الطرق من امثال الحاج عمر الفتوى. و الشيخ احمد أمير حمد الله و الشيخ محمد عبد  
الله سعاد. و الشيخ عثمان فودى و العلامة الشيخ محمد بابو و السيد الحاج مالك سية و  
غيرهم رضى الله عنهم

و قد قال الشيخ احمد التجانى رضى الله عنه: «و شرط هذا الورد المحافظة على  
الصلوات الخمس فى الجماعات و الامور الشرعية. و إياكم و لباس حلة الأمن من مكر الله  
فإنه عين الهلاك و ترك المقاطعة مع جميع الخلق و أكد ذلك بينكم و بين الاخوان فى  
الطريقة.»

و هذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التجانية بالصلاة التى هى عماد  
الدين، و انها تحث على مواصلة الارحام و عدم الأمن من مكر الله و مع ذلك فأورادها لم  
تزاحم الفرائض ولا السنن فى اوقاتها بل هى مؤقتة فى اوقات ندب فيها الذكر خاصة و  
هى من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس و بعد صلاة العصر الى الغروب.

و أما ما ورد فى كتب الطريقة من فضائل الذكر، و ان من أخذ الورد التجانى و  
داوم عليه الى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب و لا عقاب هو و والده و ازواجه و ذريته  
ان سلم الجميع من الانتقاد. فهذه الوعود كلها داخلة تحت وعد الله و رسوله، و هى  
صادقة ان شاء الله تعالى.

و وجه ذلك قد سبق ان علمت بأن الورد التجانى ما هو الا الاستغفار، و الهيلة و  
الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم. فالآيات القرآنية و الاحاديث النبوية تصرح فى  
اكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغ و ما وعده الله للذاكرين بها قال الله تعالى: (وَ  
الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ اَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا) احزاب (٣٥) و قال: (وَ  
اذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة: (١٠) و فى الحديث: (مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ

الله تَعَزَّوَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَبِيحَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ) رواه احمد. فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول في الجنة وعدها الله للذاكرين وهو تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

وأما ما يخص والديهم وأزواجهم وذرياتهم فقد قال تعالى: (جَنَّتْ عَذِينِ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ \* رعد: ٢٣) وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَزَّوَجَلَّ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي ذَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتْلُغْهَا بِعَمَلِهِ لَيَقَرِّبَهُمْ عَيْنُهُ) ثم قرأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

فمن تأمل هذه الآيات والاحاديث النبوية تحقق بأن وعد الشيخ رضي الله عنه للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعده الله تعالى في القرآن وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة فلا لوم على الذين تعلقوا بهذه الوعود الصادقة متكلين على الله تعالى القائل في كتابه، العزيز: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* الزمر: ٥٣).

وأما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين الى الطريقة التجانية مما يخالف الشريعة الاسلامية فان الشيخ رضي الله عنه ليس مسؤولاً عنهم وطريقته بريئة منهم كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بمسؤول عن اعمال جهلة المسلمين من امته والدين الاسلامي هو أيضاً بريء مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين . وليس لأحد حجة على الشيخ بعد قوله رضي الله عنه: «وإذا أمرتكم بأمر زفوه بميزان الشرع فان وافق فاعملوا به وان خالف فاتركوه».

فعبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما بويع بالخلافة وقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس أطيعوني ما اطعت الله وان عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم». هـ.

## الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب

ينتهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجاً خارقاً للاجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء. وذلك انهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية وينفون التقليد بهم والتقليد بمذاهبهم زاعمين ان لهم الحق في استنباط الاحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقليد بمذهب من المذاهب أو التقليد بامام من أئمة الدين. وهذا - في الواقع - تلبيس عظيم غرروا به العوام من الجهال وصغار الطلبة حتى اوقعوهم من حيث لا يخرجون. وقد يكون دافعهم الوحيد الى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الاربعة والقضاء عليها ليفسحوا المجال امامهم كى يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف الغير. كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة الى تضليل العوام عن دور هذه المذاهب وتصريفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام واحكام العبادات بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لانها قد وضعت خصيصاً لتفصيل وتبيين ماجاء في القرآن الكريم والحديث النبوى مجملاً من احكام العبادات والمعاملات. بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - الا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوى كما يزعمه بعض الجهلة ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك الى الكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر ولان كثيراً من القرآن والأحاديث مآظاهرة صريح الكفر، (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ... \* آل عمران ٧) ولا ينبغي إتهام الأئمة الأربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع والكشف والانصاف وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله وقد بنى الامام مالك رضى الله عنه مذهبه على اربعة اشياء: آية قرآنية، وحديث صحيح، واجماع أهل المدينة، واتفاق جمهورهم.

وقد اجمع أهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد



شاع ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.

و معلوم عند كل احد ان رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان وأنه ليس في أبناء هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، و من توهم ذلك فقد غره هواه، و لعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا — نحن الخلق — ان نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد الذى لم يصل اليه افهامنا فالاجتهاد له شروط و بدونها يكون تلاعب بالدين و سخرية بشرية الرسول صلى الله عليه و سلم اعادنا الله من ذلك و قد قال ابن القيم [١] في كتاب «اعلام الموقعين» لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب و السنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط ان يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراءته، و اختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بحكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و قصصه. و منها ان يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم مميزاً بين صحيح أحاديثه و سقيمها. و منها ان يكون ورعا، ديناً، صائناً لنفسه، صدوقاً؛ ثقة بينى مذهبه على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم، فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصا فلا يجوز له ان يكون مجتهدا يقلد به الناس.

و سأل رجل احمد بن حنبل [٢] إذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتى الف حديث قال لا قال فثلاثمائة الف حديث قال لا قال فأربعمائة الف حديث قال نعم و يقال ان احمد بن حنبل اجاب عن ستمائة الف حديث.

هذا ولا يجهل احد منا ان العلماء في كل زمان و مكان كالنووى و السيوطى و أحمد بن تيمية وابن القيم و الفخر الرازى و طنطاوى و الغزالى و ابن القاسم و خليل بن اسحاق و غيرهم كانوا جميعا على تقليد بالأئمة مع ان كل واحد منهم له اليد الطولى في كل فن من الفنون ولكن لما علموا انهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد و قفوا عند حدهم و كانوا من جملة المتقليدين. «و رحم الله امرءاً عرف قدره و لم يتعد طوره.»

(١) ابو عبد الله محمد بن ابو بكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ

(٢) احمد بن محمد بن ابو عبد الله المتوفى ٢٤١ هـ

هذا ومن الغريب جداً أن يكون باب الاجتهاد مفتوحاً امام الجميع يتسارع اليه الفقيه والسفيه ويتراحم لديه العالم المتبحر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه ويتخبط ذاك بجهله كلا! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتلبيس الحقائق بالاحلام ليس غير.

فالاجتهاد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتقاء ومن المستحيل أن تحاول الوصول اليه عصابة من المتخلفين الذين كان الجدال — ولا يزال — هو مبلغهم من العلم ومنتهى حظهم في الفهم وقد سولت لهم أنفسهم أن يجزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والاختـذ بظاهر الآيات والاحاديث علماً منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجاهل ونيل الشهرة والرياسة لدى الاميين الذين لا يميزون بين السقيم والمستقيم لانهم يقولون: نحن نقول قال الله أو قال رسول الله وغيرنا يقول قال مالك. وقال شيخ فلانى.

ومن هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالغوا في نقدهم والاعتراض عليهم و تراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونقلد بالأئمة في اجتهادهم المحتمل للخطأ؟ وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك او بقول شافعى او بقول فلان وفلان؟ وقد اجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله [١] ان تقليد الائمة في اجتهادهم ليس تركاً للآيات والاحاديث كما يزعمون بل هو عين التمسك والاختـذ بهما فان القرآن الكريم ما وصل اليـنا الآ بواسطتهم مع كونهم اعلم منا بناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ومتشابهه ومحكمه واسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من الخطأ والهفوات.

وكذلك الاحاديث ما وصلت اليـنا الآ بواسطتهم مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها وحسنها وضعيفها ومرفوعها ومرسلها ومتواترها وآحادها ومعضلها وغريبها وتأويلها وتاريخ المتقدم والمتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها مع

(١) وهو العلامة الشيخ محمد احمد عليش في كتابه فتح العلى المالك صفحة ١٠٠

قام ضبطهم و تحريرهم لها و كمال إدراكهم وقوة ديانتهم واعتنائهم و تفرعهم و نور بصائرهم».

و خلاصة القول فإن مدعى الاجتهاد من ابناء هذا العصر، المنكرين لتقليد ائمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حب الظهور و قصد الشهرة بمقتضى قاعدة: «خَالِفْ تُعْرِفْ». او يريدون بها تفريقا وحدة المسلمين و إثارة الشكوك و الخلافات بين صفوفهم سعيا وراء مصالحهم الشخصية. و إلا فَهَمْ أَعْلَم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوى المكانة المعبرة فى العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلا عن الاجتهاد الذى يقف دونه أكابر العلماء.

## مسألة القبض والسدل

أما القبض فهو الشعار الرسمى لوهابى بلادنا وقانونهم المطبق بل هو الركن المؤكد و شرطهم الاساسى لصحة الصلاة. وقد يبطلون صلاة من ترك القبض و أسدل يديه ولا يأتقون به و يحكمون عليه بالكفر و الفسوق تارة، و بالشرك و النفاق تارة اخرى. فهذا الحكم الفاسد اما لجهلهم بفقہ الصلاة و إما لانكارهم على الامام مالك رضى الله عنه الذى كره القبض فى الفرائض ولا حجة لبعضهم فى تأكيد هذا القبض و اختياره على السدل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج و وجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم فى الصلاة.

و نحن نجيب لأولئك البعض بان الحج إنما هو مؤتمر اسلامى كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة و من اماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفى و البعض الآخر على مذهب الحنبلى و قد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض و يأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رضى الله عنه.

ولا ينبغى لما لكى ان يترك مذهبه و يقلد غيره على هذه الصورة خصوصا إذا كان قبضه يؤدى الى سوء التفاهم و اختلاف الآراء فيما بينه و بين قومه فصول الوحدة الاسلامية و السعى لتقارب و جهات النظرين المسلمين فى شؤونهم الدينية و الدنيوية

أولى، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل وقد رخص فيها ومع ذلك فلسنا نحن مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال وإنما أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب: ٢١) ولم يقل كان لكم في أهل مكة آية أسوة فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين مأمورون هم أيضا باقتداء النبي صلى الله عليه وسلم. لان يقتدى بهم وحدهم

فمسألة القبض والسدل اذن ليست بمسألة مكين أو مدنيين حتى نحتاج الى التقيد بها هناك. ولكنها مسألة مرئية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي المسائل الفقهية.

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وانهما من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان يكون الامام مالك رضى الله عنه قد اختار السدل من تلقاء نفسه، او أمر به بمجرد هواه وحاشاه ان يفعله او يأمر به دون ان تكون له اسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولا يليق بنا ان ننكر عليه او نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل ولا في غيره لانه اعلم منا بصلاة رسول الله وأفقهنا بحكم القبض والسدل وهو رضى الله عنه امام فقهاء عصره وقوتهم على الاطلاق ومذهبه عمري على المشهور. وحسبه فخرا كونه إماما لدار الهجرة وعالم المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ) وقال ايضا: (تُخْرِجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي ظِلِّ الْعِلْمِ فَلَا يَجِدُوا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ).

وسئل ابو حنيفة عن مالك فقال: «ما رأيت اعلم منه بسنة رسول الله منه» و مناقب الامام مالك رضى الله عنه اظهر من شمس الضحى واكثر من أن تعد او تحصى.

هذا ومن الواضح جدا ان منكرى السدل الطاعنين به غير مقيدون بقوانين الفقه والحديث. وليسوا بمتفقيين بالمعنى الصحيح لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبي بكر الصديق وعلى ابن ابي طالب وأبي هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله ابن الزبير وأبي حميد الساعدي وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين. فالظن على المسدلين ظن جميع هؤلاء الصحابة والعياذ بالله من ذلك. ومعلوم ان اصحاب رسول الله كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا.

وانا لنعتمد ان الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم وضعف الادراك فهم — على ما يبدو — كأدوات مسخرة لافكار بعض المتطرفين الذين يزعمون ان السدل بدعة قبيحة وان الشارع صلى الله عليه وسلم لم يفعله قط ولم يأمر به وذلك ما صرح به الاخ محمد المرزوق ابن عبد المؤمن الفلاتي في كتابه: «القبض والارسال في الصلاة» وقد ذكر هذا الرجل في كتيبه المذكور أن مسدلى الأيدى في الصلاة بدعيون ملعونون ومستحقون الخلود في النار وقال ايضا ان صلواتهم باطلة وعباداتهم عاطلة وجميع اعمالهم مردودة من أجل هذا السدل لقول النبی صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) من حديث عائشة ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة الا واطلقها على الائمة الكرام والعلماء الأعلام الآخذين السدل من صفة صلاة الرسول عليه السلام. ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين وباتفاق جمهور العلماء على مر القرون والعصور.

هذا ومن المؤسف جدا ان هذا الكتيب رغم ما فيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح قد نال قبولاً حاراً واهتماماً بالغاً لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقداً على المسلمين وتفريقاً بين صفوف المصلين فصار القابض منهم يمتنع ان يصلى خلف السادل عملاً بما ورد في هذا الكتيب. وتعطلت من اجل ذلك المساجد والزوايا وشرعوا بحكم لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطاناً. ويتابع الفلاتي في صفحات كتيبه قائلاً: «فانا لم نجد للسدل حديثاً صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً حتى نعتمد عليه»

نعم قد لا يجد الفلاتي الحديث عن السدل — كما ذكر — لانه لم يكن متعمقاً في علم الحديث مثلما تعمق في علم السب واللعن والشتائم والاستاذ الفلاتي — كما يبدو لنا في اسلوب لعناته وعباراته في الطعن والتشنيع — يبدو وكأنه تخرج من «كُلِّيَّةُ الْبِدْءَةِ» وقد حاز فيها على شهادته العليا «فِي الْوَقَاحَةِ وَالْجَرَّاءَةِ» لذلك لا يمكن له أن يكتب او يتكلم الا بما يناسب ثقافته المشؤمة.

اما كون السدل من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذي أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه. وخلاصته «أن رجلاً دخل المسجد وصلى بحضور الرسول عليه السلام ثم جاء

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْغِ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرُ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئَنَ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئَنَ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئَنَ جَالِسًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا) وَزَادَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى (فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ قُمْتَ صَلَاتَكَ وَإِنْ انْتَقَصَتْ مِنْهَا فَإِنَّمَا أَنْتَقَصْتَ مِنْ صَلَاتِكَ).

هَذِهِ كَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ بِتَمَامِهَا ذَكَرَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا الْقَبْضَ وَصَحَّ الاسْتِدْلَالُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ كُلَّمَا ذَكَرْ فِيهِ وَاجِبٌ لَا تَصَحُّ الصَّلَاةُ بِدُونِهِ وَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمُنَا بِمَقَامِ تَعْلِيمِ الْوَاجِبَاتِ فِي الصَّلَاةِ وَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا مِنْهَا أَوْ يَقْتَصِرَ بِذِكْرِ بَعْضِهَا دُونَ الْبَعْضِ.

وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي حَمِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا حَمِيدٍ كَانَ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: نَعَمْ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ بِأَكْثَرْنَا لَهُ تَبَعَةً وَلَا أَقْدَمْنَا صَحْبَةً قَالَ بَلَى قَالُوا: فَأَعْرَضْ، أُنْئِىْ صِفْ لَنَا صَلَاةَ النَّبِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَحَازِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَكْبِرُ حَتَّى يَقْرَأَ كُلَّ عَظْمٍ فِي مَوْضِعِهِ مَعْتَدِلًا ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَهُ عَلَى رِكَبَتَيْهِ. وَتَابِعَ أَبُو حَمِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِ صَلَاتِهِ مَرْتَبًا حَتَّى أَتَى إِلَى التَّسْلِيمِ قَالُوا كُلُّهُمْ صَدَقْتَ هَكَذَا كَانَ يَصَلِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا الْقَبْضَ وَقَدْ ذَكَرَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ وَالْمُسْتَحَبَاتِ بِالِاسْتِقْصَاءِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ فِي السُّدُلِ وَحَيْثُ لَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي عَدَمِ ذِكْرِ الْقَبْضِ وَلَمْ يَنْاقِشُوهُ فِيهِ — رَغِمَ أَنْ الْمَقَامَ كَانَ مَقَامَ احْتِجَاجٍ وَامْتِحَانٍ — عَلِمْنَا أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْقَبْضَ لَيْسَ لَازِمًا فِي صِفَةِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا قَوْلُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَوْطِئِ: «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ.» فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَسُدُّونَ وَالْأَمْرَ كَانَ بِتَحْصِيلِ الْحَاصِلِ وَهُوَ عِبْتُ مَحَالٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

و حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى قال فيه: «رأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت شمالى على يمينى فأخذ يمينى فوضعها على شمالى» يدل هو أيضا على ان ابن مسعود رضى الله عنه كان حديث عهد بالقبض لانه لا يجوز ان يجهل صحابى جليل مثل ابن مسعود فعلا من افعال الصلاة الذى يكرره كل يوم سبعة عشر مرة على الاقل.

وهذان الحديثان يدلان على ان السدل هو اول فعلية والذى يدل على أنه اخر فعلية صلى الله عليه وسلم هو استمرار عمل الصحابة عليه اذ لا يجوز جهلهم بآخر حال الرسول صلى الله عليه وسلم.

واما مالك رضى الله عنه كان من تابعى التابعين وقد أخذ عن علمائهم الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا اعتمد على ما شاهدته منهم من السدل فقال رضى الله عنه انه لا يرى القبض فى الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم [١] فى المدونة وأخذ به أصحابه.

هذا ومن اراد مزيدا من الايضاح فى هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل فى ادلة القبض والسدل» للعلامة الحاج سعد بن عمر تورى [٢] او يطالع كتاب «ما قل ودل فى ادلة القبض والسدل» للاستاذ الشيخ احمد التجانى الفوتى [٣] فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين — جزاهما الله خيرا — مسائل القبض والسدل وبحثا عن احكامها بحثا دقيقا وبيننا مشروعية كل منهما ومأخذها من صلاة الرسول ومن عمل الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وهذان الكتابان فى غاية الأهمية لمن يريد التفقه فى احكام القبض والسدل. ومن ذلك اتفاق الائمة على استحباب وضع اليمنى على الشمال فى القيام وما قام مقامه مع قول مالك فى أشهر روايته انه يرسل يديه ارسالا ومع قول الاوزاعى انه يتخير فالاول مشدد والثانى وما بعده مخفف وان تفاوت التخفيف اختلفوا فى محل وضع اليدين

(١) عبد الرحمن بن قاسم المتكى المالكى المتوفى ١٩١ هـ.

(٢) السيد سعد عمر تورى مدير «مدرسة سبيل الفلاح» سيقوج «مالى»

(٣) الاستاذ احمد التجانى به الخطيب الاسلامى فى اذاعة والتلفزة ابدجا سم



فقال أبو حنيفة تحت السرة وقال مالك و الشافعي تحت صدره فوق سرتة وعن احمد روايتان اشهرهما كمذهب أبى حنيفة واختارها الخرقى [١]

هذا ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعارا لهم ليميزوا به عن غيرهم او ليقدروا عددهم وعُددهم والقبض أشرف من ان يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلى أو لتمييز بعضهم بعضا.

ولا ينبغي ان يكون القبض والسدل مصدرى الخلاف بين جماعة المسلمين اللهم الا اذا استولى عليهم التعصب او الجهل باحكام الفقه لانهما ليسا من الشروط التى تتوقف عليها صحة الصلاة وليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكدة ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لافعال الصلاة ولكن اخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا احكام الصلاة وجعلوا الفضائل محل الفرائض وفي الحديث: (مَنْ بُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ) متفق عليه

وأخيرا نختم هذا الموضوع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه «موقف الفصل» ونصه ما يلى: «فالقول اذا يا اخوانى ببطلان صلوات السادتين او القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له فى الشريعة ولا قال به من يعتد بكلامه من الاجلة ونسبة فاعل أحدهما او تاركه الى البدعة او النفاق او الكفر الموجب للخلود فى النار ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن فى الايمان والوقوع فى الاعراض حرام فى الشريعة المطهرة ولا نتيجة له سوى التدابر والتضامن والنزاع والتفرقة وقطع الارحام وهجران المساجد وسدها واغلاق المدارس المؤدى الى اضعاف المسلمين وفشلهم وتسيط الاعداء عليهم كما وقع - فعلا - فى بلادنا بفعل هذه الشرذمة التى ما زالت تسعى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة.»

## التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

و جدير بنا ان نأتى بهذا الموضوع لانه من اشهر المواضع التى تثير الخلافات بيننا وبين الوهابيين فهم يرون ان من كتب شيئا من القرآن او من أسماء الله تعالى وعلق عليه سواء للتداوى به او للتحرز فقد كفر بالله ويرون ان فعله هذا نوع من السحر او هو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن والحديث فى هذا الموضوع قال الله تعالى: (وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ \* الْاِسْرَاءُ: ٨٢) وقال ايضا: (قُلْ هُوَ الَّذِي يَهْدِي \* الْاِسْرَاءُ: ٩٤) وآيات الشفاء معروفة ومشهورة لورودها فى القرآن الكريم فى ستة مواضع فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية وشفاء من الامراض الظاهرة والباطنة بدليل ماورد فى الحديث: (الْفَاتِحَةُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ) رواه البيهقى. وقال عليه السلام: (خُذْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ). وقال ايضا: (مَنْ لَمْ يَشْفِ بِالْقُرْآنِ لَمْ يَشْفَاهُ اللَّهُ). وقالت عائشة رضى الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ» فقال: (بِسْمِ اللَّهِ يُبْرِكُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ). وروى عنها ايضا: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعْذَاتِ وَيَنْفُثُ فِي يَدِهِ وَيَمْسَحُ بِهَا مَا بَلَغَ مِنْ جَسَدِهِ»

وهذا دليل على ان التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى جائز وأخذ العوض عنه جائز كذلك لما روى عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال: «انطلق نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه فأتوا به الى الرهط فقالوا لهم ان سيدنا قد لدغ وقد سعيناله بكل شئ فلم ينفعه فهل عند احد منكم شئ فقال بعضهم نعم والله انى لارقى ولكن قد استصفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لى جعلاً» (أَيُّ أَجْرًا) فصالحوهم على قطع من الغنم فأخذ الصحابي يقرأ الفاتحة ويتفل عليه فقام الرجل يمشى وما به علة فاوفوهم جعلهم ولما رجعوا الى المدينة

اخبروا النبي بذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَقَّ مَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ) رواه البخارى. هذا ولنا اسوة حسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم فى كل شئ والذين سبقونا الى هذا العمل الطيب وأخذوا منه الأجرة فأجازهم الرسول أكل هذه الأجرة وهو صلى الله عليه وسلم اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز.

واما قولهم بأن الرقية هي الجائزة، لكونها هي الواردة في الاحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب والتعليق. وأن الكتابة حرام مطلقا، فهذا القول مردود لأننا لم نجد في احكام الشريعة الاسلامية حكما يجوز التلفظ به ويحرم كتابته. فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعاً كتابته، وما لا فلا!

ومن المعلوم ان الكلمات التى يلفظ بها الراقى هي نفس الكلمات التى يكتبها الكاتب على السواء ولا يحتتمل تجويز أحدهما مع تحريم الآخر فاللفظ والكتابة أمران متحدان حكما ومعنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

وفي «الرسالة» لابن أبى زيد القيروانى: «ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن» ويكون مستورا بظاهر يقيه الأذى ولا بأس ايضا بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوما المعنى كالمشتمل على ذكر الله ورسوله وأما مالا يفهم معناه كالكلمات العجمية والطلاسم المبهمة فلا تجوز الرقية بها لان الامام مالك رضى عنه سئل عن الأسماء العجمية قال: «وما يدريك أنها كفر؟» وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا فَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ) وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها فى صك ثم علقها فى عنقه. «رواه ابو داود والنسائى والترمذى» ويقول عليه السلام: (لَا بَأْسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ). و يقول ايضا فى حديث آخر: (لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ شِفَاءً أَمْتِي فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ).

ويستفاد من هذين الحديثين على ان التداوى بأسماء الله تعالى وآياته يجوز مطلقا لأنه لو لم يكن جائزا - كما يفهم من سياق هذا الحديث لما شفى بها احد من الأمة، وقد اثبت التجارب أن ألفاً أو مئتين من المرضى قد شفاهم الله بمحض ارادته ثم ببركة هذه

الآيات المكتوبة، وشأن هذه الآيات المستشفية بها، شأن غيرها من الادوية الاخرى و كلها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى. هذا وليس من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغذو الى الصيدليات لشرائها طلبا للشفاء، أكثر أهمية وأعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات الشفاء التي نكتبها هي ايضا لنفس الغرض. فكل من الآيات المكتوبة والعقاقير المشروبة والعمليات الجراحية المستعملة لاقوة لها في حد ذاتها لدفع المرض او استعادة الصحة ولكنها اسبابٌ ووسائل ليس إلا! فالشافى الحقيقى انما هو الله وحده. ولقد اجاد من قال:

إِنَّ الطَّيِّبَ لَذُو عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ \* مَا دَامَ فِي أَجْلِ الْإِنْسَانِ تَأْخِيرُ  
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِهِ \* حَارَ الطَّيِّبُ وَخَانَتْهُ الْعَقَاقِيرُ  
اما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ).

والحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ عَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ). فهو — على ما أعتقد — من الوهم اللغوى عندهم لأن التمايم معناها في اللغة «خَرَزَات» وهى ما ينظم في السلك من الجذع والودع وما يشبهها وقد كان الاعراب في الجاهلية يضعونها على اولادهم للوقاية من العين ودفع الارواح فلما جاء الاسلام نهاهم الرسول عن ذلك.

وعلى هذا فان المراد بالتمايم والودع في الحديث المذكور إنما هى تمايم الجاهلية ودعهم التى كانوا يعلقونها قبل الاسلام ولا يتصور حمل هذه الاحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية والاسماء الالهية للتعوذ بالله او لطلب الخير منه لما سبق ذكره من احاديث وآيات الشفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!

و شتان بين خرزة مثقوبة وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا \* الْأَعْرَافُ: ١٨٠)

والدعاء سواء كان باللفظ او بالكتابة وسواء للدنيا او للآخرة كله جائز لقوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ \* المؤمن: ٦٠) ولما في الحديث: (الدُّعَاءُ مِفْحُ الْعِبَادَةِ)

هذا وينبغى استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التى مازال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم. ويجب منعها اياهم تبعا للاحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه

الجدع و الودع المعروفة.

و اما كتابة هذه الآيات القرآنية و هذه الأسماء الالهية لقصد الضرر و ظلم عباد الله كاهلاكهم مثلاً و إتلاف أموالهم أو لادخال العداوة بينهم فهو الممنوع الحرام يعاقب به فاعله و المفعول له معاً الآ من تاب و آمن و عمل صالحاً و يحرم كذلك الدخول بها في الأماكن النجسة و المواضع المقدسة. و يجب على المشايخ التنبيه عليه و تحذيره، و ان لا يكتبوها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعاً و تكون مستورة بظاهر كالجلد و نحوه و حينئذ لا حرج و الله اعلم.

## بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء و الاتجاهات من دعاة الوهابية إما اختلاف و كأن لكل واحد منهم أوامره و نواهيه الخاصة به ينفرد بها دون غيره و ليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة و تلك الاتجاهات المتناقضة و الجمع بينها.

و بما ان الواجب على المرء ان لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بان يسمع من ذلك الشخص ما قيل عنه أو يقرأ كتبه أو يجتمع بأصحابه المقربين لذلك بذلت جهدى في تحصيل الكتب الوهابية لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل ان اصدر حكمى لها أو عليها و قد اطلعت على بعض هذه الكتب و قرأت شيئاً من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب و رسائله كما اجتمعت ببعض وهابيين بلادنا البارزين و استمعت اليهم و فهمت مقاصدهم و خلال مقارنتى بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و بين ما هو عليه و هابيو بلادنا لاحظت اختلافاً جوهرياً في الاقوال و الافعال بل و في العقائد بين الادارة الوهابية و بين المتوهمين الآخرين و خاصة اولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماماً و بصفة غير معهودة بين المتبوع و التابعين و ذلك مما يؤكد بوضوح على ان الدعوة الوهابية قد اصابها داء التعصب و الفوضى من قبل بعض المتطرفين و المنحرفين الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم و المثل العليا و

أقل ما يقال فيهم، هم اصحاب مراء و جدال استولى عليهم الجهل والتعصب.. بل هم قَوْمٌ خَصِمُونَ..»

وها انا انقل لك ايها القارئ الكريم بعضا من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى بعض أتباعه و التي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة و الصلاة على النبي: «أشهد الله و من حضرني من الملائكة و اشهد كم أني اعتقد ما اعتقده اهل السنة و الجماعة من الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله. و أقر بكرامات الأولياء إلا انهم لا يستحقون من حق الله شيئا ولا اشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار، الا من شهد له الرسول صلى الله عليه و سلم ولكني ارجو للمحسن و أخاف على المسيء. ولا أكفر احداً من المسلمين بذنبه ولا اخرجه من دائرة الاسلام. و أرى هجر أهل البدع و مبائنتهم حتى يتوبوا و أحكم عليهم بالظاهر و أكل سرائرهم الى الله.

و نحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلّد الائمة الاربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيه.» انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي يبين فيها عقيدته وما هو عليه. [١]

ولكن لننقل لك ايضا - ايها القارئ الكريم - بعض المحاورات و المناظرات التي جرت بيني و بين الأصدقاء الوهابيين ليتبين لك عقيدة وهابي بلادنا، و لتعلم أيضا بان جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن علم اليقين. «و ليس الخبر كالعيان.» لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سيكاسو» فجاءني بعض الأصدقاء من الوهابيين للسلام على كالعادة ولما استقربنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية و تأثيرها في المجتمع و اقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم و نزيل الخلافات القائمة بيننا. فابتدرت بالسؤال قائلا: لماذا خرجتم من المسجد و تركتم الصلاة معنا فهلاً نُصلي معاً فمن شاء منا يقبض يديه و من شاء يسدل كماهى الحال في كثير من المساجد؟ فأجابني احدهم قائلا: لا يا أخى المشكلة ليست في القبض او في السدل و لكننا في الحقيقة نعتبركم مشركين فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم ثم قلت له: لأى شيء تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلقون التمام و تتوسلون بالأنبياء و

(١) نقلناه من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية»

الصالحين. فعلمت ان هذا الاخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة الى طبيب الارشاد. وتحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق: نعم ولكن لا يستطيع المسلمون ان يتحدوا الا اذا تمسكوا بالكتاب والسنة وتركوا ماسواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين. ومادام يقال هذا مالكي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضاً ان هذا الاخير أشد جهلاً من الاول وقد بلغ به جهله ان ينكر كل شيء حتى على المذاهب الاربعة المجمعّة على صحتها.

وفي مدينة «قاونى» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق تحدثت يوماً مع واحد منهم فقلت له: ما رأيكم في هذا المسجد الذى تقيمون فيه صلاة الجمعة هناك جامع عتيق غير ضائق وليس ثمّ عذر شرعى يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا في بعض الاوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلاً فكيف ترون صحة صلاة الجمعة في هذا المسجد؟ فقال لى شكراً على هذا السؤال ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذى ذكرتموه من ان صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثنى عشر رجلاً انما هو من قول الامام مالك رضى الله عنه فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الائمة فالمعمول عندنا ان صلاة الجمعة تصح باثنين وثلث وأربع بلاحد.

و أعجب من هذا فقد جاءنى فى العام الماضى اخ وهو من اهل البادية فى نواحي «نيور» وقال لى بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة سواء كان فى القرية او فى الفلاة، وحجته فى ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصلّى مع جماعة من الملائكة وقال لى هذا الاخ بأنه شخصياً صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وهو رابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا فى مسجد مبنى، فسألنى ذلك الاخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالاعادة ظهراً، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يحرمه وهابيو بلادنا الصور «الْقُوتُو غَرَفِيَّةٌ» حتى ان بعضهم لا يبيع ولا يلبس الأقمشة التى توجد فيها صور الاشخاص او الحيوانات ولا يخفى أن علماء



الحرمين الشريفين قد افتوا بجواز هذه الصور «الْقُوْتُوْغَرَاْفِيَّة» لأهميتها في شتى المجالات ولا حاجة لنا إلى السؤال هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين أم الحق مع علماء الحرمين الشريفين؟

أما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الأرجح لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الأخ الوهابي وهو لا يستحي أن يضر نفسه ولمن يقربه من نثر هذا الدخان بينما قرأنا في الكتب الوهابية بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين.

فاذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقرر لكرامات الأولياء ولا يكفر أحداً من المسلمين بذنوبه وهو في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فإن اتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم «وهابيين» بدلاً من الوهابيين لانتهاجهم سلوكاً آخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي.

واستناداً منا على هذه الحقائق المذكورة فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا إلى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر.

و الوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله والصلاة على نبيه المصطفى وأضيف إلى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ، ولآل بيت النبي فكل من تكونت في شخصيته هذه الصفات فهو الوهابي الكامل، الذي يسمى عندهم بالسني.

## هل هم سُنيّون أم وهابيون؟

يفالط البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يسمون أنفسهم بالسنيين، بينما لا علم لهم بالسنة إلا اسمها ولا صلة لهم بها أكثر من ادعائها والتفاخر بها كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته و كيفما ساء سلوكه وأخلاقه. ولكن هيهات ان تحقق الادعاءات نفعا، او تقيم لأصحابها وزنا.

ويزعم هؤلاء المعنيون انهم سنيون وليسوا بوهابيين والعجب كل العجب ان يدعى الجاهل انه سنى او انه زعيم للدين بارزو وليس من المعقول ان يكون الجاهل سنيا فان العلماء أنفسهم عجزوا ان يكونوا سنيين حقيقيين إلا الخواص - وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ - فكيف بالجهال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والافتداء باقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم وذلك يقتضى العلم والعمل معا وبفقد الاول تكون سنية الجاهل محالا وبفقد الثانى تكون سنية العالم باطلا ولايد من اجتماعهما معا وإلا فهي سنية اللسان لا غير فنحن لانقبل سنية الجاهل مهما طاللت لحيته او اشتد تنسكه. وفي الحديث: (سُرَّأَقَتْنِي رَجُلَانِ غَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَسَكِّ) وقال الشاعر:

فسادٌ كبيرٌ غَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ \* وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَسَكِّ  
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ \* لِمَنْ بِهِمَا فِي ذِيهِ يَتَمَسَكُ

وقال الآخر:

«كَمْ لِحْيَةٍ ظَالَتْ عَلَى ذَقَنِ جَاهِلٍ هَ وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا الْغَبَاوَةُ وَالْجَهْلُ»

فالسنة النبوية تلاحظ صاحبها في جميع حركاته وسكناته وتراقبه في كل العبادات والمعاملات من المشى والكلام والأكل والشرب والبيع وغيرها وهى تفرض على المرء ان لايفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدى بالمبتعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا نعرف ان السنية لا تكون في زى خاص ولا في هيئة معينة، بل هي اشرف من ان تستتر في مثل تلك الاماكن التي ان هي الآ حباثل يصطاد بها ضعفاء العقول والعقيدة. وفي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَقْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه الطبراني

هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات الاليهامية التي يعتمد عليها بعض دعاة الوهاية والتي تتمثل في توفير اللحية ولبس البيض والتغطى بالعمامة وما الى ذلك لا تكفى بأن تكون تعريفا كافيا للسنى الحقيقى وهم - مع الاسف - قد اخطأوا في تقدير السنية حيث قيدوها في نوعية اللباس وفي ظاهر الهيئات.

وانما يعرف السنى بطواهر تقوى الله في السر والعلانية وبامثال الأوامر واجتناب النواهي وبالصدق في القول والاخلاص في العمل وبالقيام بوظائف العبادات من الفرائض والسنن والتوافل وأدائها كاملة غير منقوصة.

ويعرف السنى كذلك بالتخلي عن الاوصاف الذميمة والاحوال الوضيعة والتحلل به بمحاسن الصفات ومكارم الاخلاق.

فمن شأن السنى ان يدعو الناس الى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة و يجادلهم بالتي هي أحسن. كما من شأنه أن لا يكون سباباً ولا لعاناً ولا فظاً غليظاً ولكن هيناً ليناً يعفو ويصفح ويبشر ولا ينفر اقتداء بالرسول الكريم القائل «لَمْ أَرْسَلْ سَبَاباً وَلَا لَعَاناً» والذى قيل عنه: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ آل عمران: ١٥٩)

والسننى - بعبارة أوجز - هو من وضع قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث تكون أقواله وأفعاله مطابقة لأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم يصدق لسان حاله لسان مقاله ويكون متصفا بمكارم الأخلاق في سائر احواله السرية والجهرية وفي جميع تصرفاته ومعاملاته مع الناس.

والسننى لا يتجاهر بسنيته ولا يتفاخر بها بل يخفيها قدر الامكان خوفا من الابتلاء وجريا على عادة السنيين الحقيقيين. ويكون السنى مجتنباً للكذب والغيبة والنميمة عازلاً عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضياً بالقضاء

حلوه و مره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير ويكون شغله الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله و معالجته من امراض الكبر والحسد والعجب والحرص و تطهيره من دنس الخواطر النفسانية و الوسواس الشيطانية و يترك الهذرو الفضوليات و يتقى الشبهات في مأكله و مشربه و ملبسه و يحذر الفس في بيعه و شرائه و يراعى حقوق جيرانه و يتحمل أذاهم و يوقر كبار المسلمين و يرحم صغارهم و يساعد الضعفاء و المحتاجين.

و يقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة و يصل من قطعه و يعطى لمن حرمه و يعفو عن من ظلمه و يحب لغيره ما يحب لنفسه و يضيف السنن الى كل هذا الاحتساب الى الله و تفويض أمره اليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائماً بين خوف و رجاء لا يتركى نفسه ولا يعجبه علمه او عمله لما في الحديث: (التَّائِسُ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَالِمُونَ، وَالْعَالِمُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَامِلُونَ، وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى، إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَ الْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.)

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السنن وهذه صفاته فانظر نفسك ايها الاخ الوهابي، فان كنت هكذا فأنت سنن حقاً. وإلا، فلا! و اياك ان تكون من الذين يقولون ما لا يفعلون قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾) صدق الله العظيم

## وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها

فضلة الرحم واجبة في الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۖ لِلنِّسَاءِ ۙ) (١)

ومعنى الآية - والله اعلم - اتقوا الله وصلوا ارحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية وفي الحديث: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا إِسْمًا مِنْ إِسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ) رواه الطبراني عن جرير وقال عليه السلام: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ يَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ) أخرجه الطبراني والبيهقي و يروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)

ولهذا جاء الاسلام مهتما بشأن الارحام وحث المسلمين على صلتها ورعايتها في جميع المستويات وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ رعد : ٢٥)

وقد ظلت صلة الرحم عنصرا هاما من عناصر الدين وهدفا حيويا من اهداف الاسلام ولها اهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري ان نوليها - نجد ايضا - اقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها اى الرحم عاهد الله تعالى ان من قطعها قطعه الله ومن وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.

فمن واجبنا - نحن التلاميذ - وكل المسؤولين ان تعلم اخواننا المسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم وذويهم وما وعده الله للقائمين بهذه الواجبة الانسانية. ونحذرهم كذلك من مغبة قطع الارحام وتفريق وحدة المسلمين وما يترتب عليهما من الندم والخسران في هذه الدار وتلك الدار الآخرة. وفي الحديث: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ) رواه الاصبهاني وقال عليه السلام: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ومتفق عليه عن ابن عمر

فالسعييد من لم يكن سببا للتفريق بين الامة او لأدخال العداوة بينها و يقول الرسول عليه السلام: (أَيْتَمًا رَجُلٌ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ امْتِنِي فَأَضْرِبُوا عُنُقَهُ) و يَقُولُ أَيْضًا: (الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا) رواه الديلمي

هذا ومادمننا في موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة بر الوالدين و وجوب طاعتيهما والاحسان اليهما قولاً وفعلًا والدعاء لهما في حال الحياة و بعد الوفاة لانهما سبب الوجود وسر الحياة وخاصة الذين ربّيا كترية اسلامية. فعقوقهما من الكبائر التي يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحثك على عقوقهما ومقاطعتهما إلا عدوك الذي ينتهز فرصته ليختلس مالديك ثم يتبرأ منك يوم تقف بين يدي الله تعالى.

وهناك من افراد الوهابيين من يعوق والديه و يعتبرهما مشركين لا لشيء سوى انهما لم يستسلما للدعوة الوهابية أو لم يقبضا أيديهما في الصلاة ولايراعى فيهما حقوق الابوة ولايؤدى لهما واجب البنوة وهو يعرف ان أباه هو الذي أخذ بيده وهو صغير وذهب به الى المعلم ليعلمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين فلما كبر هذا الولد المسكين وتوهب أبى الا ان يسمى أباه هذا مشركا عازما ان لايعامله الا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسلم و المشرك.

وصار- بهذا القرار- ناسيا او متناسيا كل ما قدم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحنوا أيام مهده وصباه، وقد أنساه شيطانه أنه لو ذهب به ابوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانيا او الى الكاهن لكان ساحرا عليما. فإذا كان هذا هو جزاؤك لوالدك ايها الولد فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولاشك ان هناك أيديا مجرمة تحركهم من تحت الستار وتشجعهم على المضى بمسارهم عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم وتزين لهم سوء أعمالهم هذه بانها نوع من الجهاد وأنها من امتثال اوامر القرآن حيث يقول الله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ \* الْمَجَادِلَةُ: ٢٢) فاتقوا الله ايها الأولاد واذكروا قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا \* الاسراء: ٢٣) وقوله عليه السلام: (الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ) رواه الحاكم وصححه

## خاتمة الكتاب

وفي الختام أرجو من الأخوة الوهابيين سامحني الله وإياهم ان يرجعوا عن الانكار بما لم يحيطوا به علما وان يبادروا إلى التوبة بالندم على ما فات قال الله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) وان يجتنبوا سوء الظن باخوتهم المسلمين قال تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ \* الْحَجَرَات: ١٢) وقال: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى \* النجم: ٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه احمد عن ابى هريرة وقال ايضا: (طوبى لمن شغلته غيبته عن غيوب الناس) اخرجاه أبو نعيم هذا ولا بد من نهى المنكرايا كان مصدره لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ \* آل عمران: ١٠٤) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْقَانِ) رواه مسلم والترمذى

ولكن يجب التمييز بين كبائر الاثم وصغائر الذنوب وبين ما يؤدى إلى الشرك وما يفضى إلى الحرام ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه

وقد جعل الله لكل شئ قدرا وهو سبحانه وتعالى المحلل والمحرم وليس لأحد تغيير احكامه، ولا تعديده حدوده وإنما عليه وضع النقاط على الحروف قال تعالى: (وَلَا تَقْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ \* المائدة: ٨٧) وقال: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ \* الطلاق: ١) صدق الله العظيم

وعلى ضوء هذه الآيات البيّنات والاحاديث النبوية الشريفة توجه ندائنا إلى قادة الامة من العلماء والحكام وجميع اولياء الامور بصفة عامة ان يشاركوا على انقاذ هذه الامة التى تكاد تفقد دينها ودنياها و كل شرفها ومعنوياتها. فعليهم أن يؤدّدوا صفوفهم ويُضاعفوا جهودهم و يعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين و يتعين على هؤلاء القادة اينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حل الخلافات و



المشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين و الوطن والانسانية  
جمعاء.

ومعلوم بالضرورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون  
والمعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت الى درجة تكفير المسلمين بعضهم بهم مثلما حدث  
فعلا من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين تضررت بهم الأخوة والدين والارحام معا.  
وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدية في شأن هذه النزاعات الآشريعة و  
وضعت حداً نهائيا لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقا لقوانين الشرعية الاسلامية التي  
يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بقيود من حديد على أيدي اولئك المجرمين الذين  
يسمعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو حل  
هذه الخلافات فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسينتهي الأمر إلى حروب أهلية  
لامحالة.

ويتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الائمة  
والوعاظ ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة و يعلموا أتباعهم وتلامذتهم  
ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضا. وان يلازموا الحذر كي لا يتخذهم الشيطان  
وسيلة للتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدروا هذه المسؤولية الجسيمة التي  
وضعها الله على عواتقهم والتي هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) متفق عليه

وذلك ما نزيد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع  
كلمتها وحماية وحدتها بدلا من اثاره الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.  
وهذا ما تيسر لنا جمعها من هذه المسائل على اننا نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب  
جميع ما تتطلبه هذه المواضع من الشرح الطويل والبحث الدقيق وانما هو امتثال فقط  
بوجوب النصيحة وإيمان بان الذكرى تنفع المؤمنين.

وفي الختام نتوجه الى الله القدير قائلين اللهم أيد الاسلام واجمع كلمة المسلمين و  
وفقههم لرؤية الحق حقا وأعنتهم على اتباعه ولرؤية الباطل باطلا وأعنتهم على اجتنابه اللهم  
انت الشاهد وكفى بك شهيدا ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه

توكلت واليه انيب سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

### تقاريف العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفه عرضناها على كثير من علمائنا المفقهيين و  
أساتذتنا المشفقين في مختلف الاماكن والاوطان وطلبنا منهم ان يبدوا بأرائهم  
وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفه وعباراتها ورجونا  
منهم كذلك ان يساعدوا على تحسين ما يصدر فيها من الخطأ والمفقات.

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا. حيث قاموا بمراجعتها و  
تصحيحها مرات عديدة وأدخلوا فيها مزيدا من التغييرات والتعليقات حسبما تتطلبه  
الحاجة ويقتضيه الموضوع

وأخيرا أعربوا جميعا عن استحسانهم بهذه المؤلفه وتأييدهم لها. ونحن اذ نحمد  
الله تعالى في البدايات والتمام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا في  
تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعا بلغ الغاية.

ولأدلى على ذلك من هذه التقارير التي كتبوها بمحض إرادتهم وبعثوها إلينا  
من مختلف المدن والجمهوريات وفيما يلي نص تلك التقارير على التوالي

حضرة الاخ الحاج مالك به : إننى راجعت الرسالة من اولها الى آخرها كباحث ومتفقد حرفا حرفا بل جملة او كلمة فوجدتها صحيحة و موافقة للموضوع الذى قمت لسيبه وهو الرد على الوهابية. فكللمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين. فارجو من الله تعالى ان يزيدك فهما وان يعينك على الاصلاح ما استطعت وان يجعل مثواك غدا مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين.

من الاخ ابى بكر جحتى

مدير مدرسة «سبيل الديانة» موبتى

جمهورية «مالى» MALI

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد فليعلم الواقف على هذه الورقة أن قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحا فوق الغاية مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والادب بل هى جريدة حسناء بلغت الغاية فى الجمال.

فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء وأدام شمس سيادتك العلية ورعاك بعين رعايته من حاسد اذا حسد والحمد لله على التمام ودمتم بخير وعافية.

الكاتب عثمان عبد الله سكلى

المدرس فى مدينة سنس عبد الله عصمه الله

جمهورية «مالى»

ومن مدينة تمباكندا - بالسنگال - بعث الينا الاستاذ جيران الحسين جاكوب هذا

التقريظ القيم استهله بقوله:

قال الحسين بن محمود جاك: شهدت يا الله فى الله بانك جاهدت جهدا فى

سبيل الله جزاك الله عن الاسلام خيرا من اجل فرحى كتبت الحروف بقولى:

للرد والتحقيق بل لتودد	الحاج مالك به أقصى برسالة
بعناية من فيض جود محمد	فبخ بخ لرسالة مرسومة
ودراية ومواهب من ماجد	برواية منقولة من سنة
فجزاه ربي بالجزاء الامجد	استاده أى الكتاب المحكم
فرح الغيور لصون سنة احمد	فغرور والمغرور كل سادم
متجاهدا حتى تلاقى احمد	دم باحثا متضلعا متورعا
يهدى اليه هداة دين محمد	صلى عليه الله مادام الهدى
ومن انتمى يوم الدين محمد	والآل والاصحاب مع ازواجه

اهـ

الحسين بن محمود جاك  
الخطيب الاسلامي بدار الاذاعة الوطنية  
«تبا كندا» جمهورية السنغال

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية اتصلنا بالتقريض التالى الذى بعثه الينا زميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا نصه: الحمد لله الذى قدر فهدي والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: ان الاخ المسلم والصدىق الملهم السيد الاستاذ الحاج مالك به جدير بان يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضلوا وضحو ارواحهم وهدروا دمائهم الغالية للحق ومن اجل الحق.

وان هذا التأليف لجدير ايضاً ان يكتب بهاء الذهب والفضة وانى اقسم بالله: قد وضعت النقاط فوق حروفها وقد امطت اللثام عن حركات المشبهين لدين الله والذين جافوا بالبدع وكفروا كل من خالف بدعهم واهواءهم الفاسدة. والله وقد زادوا الطين بلة لمخالفة رؤساء الاسلام فى مسئلة الاغاثة و اخطئوا فى التقدير رغم اجتهادهم فى الدين وكلمة التوحيد اقال الله عثراتنا وعثراتهم.

وانا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين سدد الله

خطاك ايها الاخ المسلم و يبارك فيك وفي قلمك الميمون.

هرون موسى جل  
معلم القرآن الكريم في مدينة كيهيد  
ج الاسلاميه الموريتانية

الحمد لله الذي اهدى اليينا السيد الفاضل الفيور والناصر المعين القائم لقمع  
البدعة الوهاية الذين هم تركوا السواد الاعظم و خرقوا عصي الاجاع وظنوا انهم على شئ  
استحوذ عليهم الشيطان واستولى عليهم حتى تركوا ذكر الله وأنكروا اولياء الله و شتموا  
اهل الله وعباده الصالحين لعداوتهم وجرأتهم على الاولياء والصالحين ومن نظر الى هذه  
المؤلفة بعين الانصاف وأنعم النظر فيها يعلم أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء من عباده.  
اذ اخذ المدرعة لضرب رؤوس اولئك الذين يوحون بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً.  
وهذا من اعظم الاجتهاد في سبيل رب العباد والذب عن الاولياء الصالحين  
وعباد الله المقربين فجزاه الله خير جزائه.

الحاج سعيد جل - بمكو  
جهورية «مالى»

ولما وقف على هذه المؤلفة الشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن الحاج  
يوسف صمب الله دارمى. قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة و الاضطراب هذه  
الآيات:

من بحره الزخار ذات دلائل	لله درفتى أتى برسالة
ردت دعاوى كل أحق جاهل	عند راء لم تسبق بميدان الحمى
أبشر فسعيك واصل للعادل	يا مالك العالمين ظهير باطن
من مكر شرمة بعزم مناضل	صنت الطريقة اهلها بردودها

نرجو: بك النصر المبين لنهجننا  
اعطاك ربك مبتغاك بهذه  
عبد العزيز كتبته ببغالة  
انى احبك فى الاله واحد  
لطريقة القطب الشهير الواصل  
و بتلك بالهادى الامين الفاضل  
اذ فى القطار يقونى بتمايل [١]  
ختم الرسالة والولاية عامل

الاستاذ عبد العزيز دارمى امام الجامع فى مدينة ينقام جمهورية سيراليون  
SIERRA LEON

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب على عبده وجعله منهاجا لكل عابد او اب و امره  
فيه بان يدعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة (أذع الى سبيل رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ  
الْحَسَنَةِ \* النحل: ١٢٥) والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل  
(نصر الله امروا سمع منا قبله كما سمعه) قرب مبلغ اوعى من سامع سيدنا محمد الهادى  
الى صراطه المستقيم وعلى آله واصحابه حق قدره ومقداره العظيم.  
وبعد: فقد اطلعت على - تأليف اخينا فى الله الاستاذ الاديب الاربى الذى اثار  
الله عقله لخدمة الاسلام والمسلمين السيد (بالحاج مالك) ابقاه الله منارا لكل سالك،  
فوجدته مع صغر حجمه احسن وافضل كتاب الف فى هذا الجانب، ولم اتمالك نفسى ان  
قلت موجزا:

تبليج نور فى ظلام جهالة  
فبدد او هام الضلال التى بها  
على يد شاب مسلم متورع  
عنيت به شمس الهداية مالكا  
فله دره فتى متشمرا  
ابان لمن رام السعادة والرضى  
مبيننا لنا حقا منار الطريقة  
يضلل بعض المدعين لسنة  
فقيه نزيه ذى تقى ومسروءة  
حياه الاله نيل افضل منية  
لنصرة دين الله فى كل لحظة  
سبيل الهدى مستسهلا كل صعوبة

(١) لقد كتب سيادته هذا التقريظ ونحن على متن القطارين مدينة تخامي - ويككو العاصمة

اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا  
تفيض العلوم من يديه غريزة  
اتى بعجيب حين عبر معلنا  
حقائق اسلامية ترهق باطلا  
حقائق تخصى عن بداءة جاهل  
ولن يجعل الله السبيل لظالم  
فيارب وحدين كل الطوائف  
دعوناك ربى ان تمّ لعصرنا  
فيارب جازه على ما اجاده  
وسامح لمحمود وبلغه للمنى  
وعمم لكل المسلمين برحمة  
وصل على الهادي الكريم وآله

وابدى لسالك بكل نصيحة  
و يرشد جاحدا باوضح حجة  
حقائق تزري للدعي بحكمة  
بنص صريح من كتاب وسنة  
ظلم كذوب ناسخ للشريعة  
على مؤمن صونا الافضل ملة  
على الحق حتى لانبأى بلومة  
بامثاله حتى نفوز بوحدة  
وابدل له عماهفا بفضيلة  
ووفرله فيضا باحسن فيضة  
تدوم عليهم من ذكور ونسوة  
واصحابه دوما الى يوم بعثة

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية ينطلق منها ابناء بلادنا المثقفون المخلصون  
لدينهم الى تحييص عقيدة الاسلام من الخرافات والاوهام التى يروجها الانتهازيون الذين  
ينتحلون اسم الدين سعيا وراء اغراضهم الشخصية نسأل الله الهداية والتوفيق انه على ما  
يشاء قدير وبالاجابة جدير.

الفقير الى الله محمود سليمان بوصو

المدرس بمدرسة «هدى الله» ص.ب: ١٨٣٦ بامكو

جمهورية «مالى»

حمدالمن أسدى جلائل الأيادى واسدل بسط العلم على من حباه من الخواضر  
والبوادى. وحصر مذاهب الأئمة الأربعة والطرق الصوفية فى الكتاب والسنة. وجعل  
مقلديهم من خيرة اهل السنة والجماعة. وصلاة وسلاما على مظهر الحقيقة والحق سيدنا  
محمد ناصر الحق بالحق.



وبعد واننى لما من الله على بمطالعة ما آلفه صديقنا الصفي وحبينا الروحي  
السيد الحاج مالك به ونظرت اليه بعين التأمل والانصاف فوجدته صحيحاً للغاية فحق  
وأيم الله لكل مقلد للامام مالك. ولكل منصف سبيل القصد سالك. أن يستشهد عند  
وقوفه على ما اوتى مؤلفه من المعارف والمدارى بقول جمال الدين الامام مالك حين قال: و  
اذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما  
عسر فهمه على كثير من المتقدمين وأرجوان يجادل عنه الامام رضى الله عنه في دار البقاء  
جزاء بمجادلته عنه في دار الفناء. وان يكف عنه اكف القابضين ويقطع بسيف تحقيقاته  
رقاب ذوى التنطع الغالين بجاه سيد الاولين والآخرين والحمد لله رب العالمين

عثمان ابن عبد الله يقادو

مدرس القرآن الكريم في مدينة قديبتى

ثيتور ج. مالى

تم بعون الله وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب و ترتيبه وذلك مساء الجمعة ٧ من  
شعبان عام ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣ ميلادية نسأل الله سبحانه ان يجعل هذا  
العمل خالصا لوجهه الكريم ومقبولا لديه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه  
اجمعين.

# فهرسة الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ اهداء الكتاب .....	٣
٢ مقدمة الكتاب .....	٤
٣ خطبة الكتاب والباعث الى وضعه .....	٦
٤ الاسلام واهدافه في توحيد الأمة .....	٩
٥ الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع .....	١٥
٦ الوهابية ومنعها التوسل بالأنبياء والصالحين .....	٢٢
٧ ما هو الشرك وكم أنواعه؟ .....	٣٠
٨ الوهابية وانكارها للبدع مطلقا .....	٣٤
٩ بيان في احكام الطرق والاوارد الصوفية .....	٣٧
١٠ الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب .....	٤٢
١١ مسألة القبض والسدل .....	٤٥
١٢ التداوى بالقرآن او باسماء الله تعالى .....	٥١
١٣ بيان اوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم .....	٥٤
١٤ هل هم سنيون ام وهابيون .....	٥٨
١٥ وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها .....	٦١
١٦ خاتمة الكتاب .....	٦٣
١٧ تقارير العلماء .....	٦٥

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يهدي من يشاء الى الاسلام والصلاة والسلام على رسوله  
صلى الله عليه وسلم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ايها الاخوة الأعزاء ابلغكم التحيات  
الطيبة بلا حد وبعد:

رأيت اماما من الوهابيين في موضع الوعظ في مدينة يوبولسوء وسمعت  
وعظه وبعد فراغه منه أتيت وقلت له: ايها الامام انت وجماعتك كلكم في ضلال  
مبين فغضب علي وقال لي: كيف تقول هذا القول؟ فأجبتة قائلا: قد استلمت  
كتابا من تركيا يسمى بـ (علماء المسلمين والوهابيون). عندما قرأت هذا  
الكتاب عرفت انكم في ضلال مبين. فقال لي: اريد ان اقرأ هذا الكتاب فأعطيته  
له وقرأ الكتاب بتمامه في ثلاثة ايام. فرد على الكتاب وقال لي ما اسمك يا  
عزيزي فأجبتة بأن اسمي غامسوري عمر فقال قد صدقت يا عمر وعرفت الآن  
اننا كنا في ضلال مبين واترك انا واهلي هذا الطريق الباطل واتوب الى الله تعالى  
توبة نصوحا واخذ يأتيني حيناً فحيناً ويشكر لي في كل فرصة فأهديت له ذلك  
الكتاب مع كتاب (مفتاح الفلاح)

ونشكر لكم شكرا جزيلا وندعولكم سعادة الدارين ونطلب منكم  
الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التي طبعتها مطبعة الاخلاص  
وفي ختام رسالتي احمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. السلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم في الله غامسوري عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

معالى الشيخ الاغر الكبريت الاحمر حسين علي بن سعيد  
استانبولي تركية والى سائر الاخوة الاعزاء اسعد الله اوقاتكم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
نحمد الله سبحانه الذي لا اله الا هو ونشكره على ما اسفغ علينا  
من نعمة التي لا تحصى ونصلي على رسول الله خاتم النبيين وامام  
المجاهدين وعلى آله واصحابه اجمعين  
ونشكر ساحتكم الكريمة لما تقومون به وتبذلونه من جهد  
كبير ونسب كثير نحونا ونحو طلاب معهد روضة الاسلام  
بجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيرا كثيرا  
وبعد : فيمعدني جدا ان اصيظكم علما باذ جميع ما  
تلقينا من ساحتكم الكريمة من كتب اسلامية  
صوفية وما تلقتها طلاب معهد روضة الاسلام  
قد وصل جميعها الينا ويبلغ عدد المبعوثات اليها والى  
الطلاب مائتي ملبة وكل ملبة ثلاث كتب او ما يزيد  
ومكتوب على كل ملبات اسم صاحبها من الطلاب والمدربين  
ويبلغ نصيب كل منهم خمسة كتب فصاعدا  
ونرجو من ساحتكم الكريمة ان لا تقطعوا عنا هذا المشروع  
الكريم والله وحده يجازيكم ويغنيكم غير اننا بقراء مالنا  
يد طوي تصل اليكم ولكن مع كل ذلك سنسندك جهد المستطيع  
فيما طلبتموه من العامة ارسال التبرعات في شكل القسيمة  
ان شاء الله تعالى

سنة ١٤٠٤  
١٣٦٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم  
على الاخوة الاعزاء يرأسهم الشيخ الأكبر حسين علي  
ابن سعيد استاذي تركية امجد الله اوقاتكم واحال صلاتكم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
بديهي جدا ان تقدموا الى الطلاب الجاهلين والمجيع  
الاخوان في انحاء العالم هذه النسخة الموجهة ونصها

- أمة الاسلام اعلوا ان عقائد الوهابية منحصرة في اربعة اشياء
- ١ اهانته رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه طارقه
  - ٢ اهانته اولياء الله الكرام رضي الله عنهم اجمعين
  - ٣ تكفير السواد الاعظم الموحدين
  - ٤ تحسيم الله سبحانه وتعالى

وَقَدْ جَمَعْتُهَا هَذِهِ الْأَيَّامَ

وَالْتَضَعُ قِرْصِي عَلَى الْإِخْوَانِ فِي الْحِكْمِ	إِنِّي نَصِيحٌ لَكُمْ يَا أَفْضَلَ الْأَمَمِ
فَدَمْ شَاعَ إِشْلَاقُهَا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ	أَيُّ الْوَهَابِيَّةِ الْمَلْعُونَةِ الْمَلَلِ
وَقَضَى عَلَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ كَالرَّمَمِ	يَقُولُ مَا لَهَا النَّيُّ لَيْسَ لَهُ
وَأَنَّهُ طَارِقٌ لَا قَاتِلَ لِلنَّيِّ	وَأَنَّهُ لَا يَطْفَأُ النَّفْعُ لِلْبَشَرِ
فَلَمَّا مَسَّ الْخَيْرَ أَنَّ عَائِدَ الضَّمَمِ	يَقُولُ مَا لَهَا إِنْ زِدْتَ ذَاكَ زَمَ
عَلَى تَمَامٍ فَكَيْفَ كَانَ فِي الْقَدَمِ	يَقُولُ مَا لَهَا الرَّحْمَنُ مُجَلِّسٌ
فِي الْبَقَاقِ وَضَعُوا الْعَقْلَ وَالْهَمَمِ	عَقِبَتْ بَهْمٍ رَهْمٌ عَنْ مَسْلكِ الرُّسَدِ
يَعْرِضُ الْمُؤَجَّدُ بِالْإِشْرَاقِ وَالْوَهْمِ	يَا لَيْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِدَّتْ لِي
سَادَاتِنَا إِلَهَ وَالْقَضْبِ كُلِّهِمِ	صَلَّى إِلَهِهُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى

ابيات طالب المعهد روضة الاسلام  
صدر الشيع جبران محمد العربي جبر  
جمهورية مالي  
Rp. ١٠٠

أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَّارِيُّ

# اتحاد أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من كتابه الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

بشرى كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

تونس 1963

وفي الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1229 . تسع وعشرين ومائتين وألف (الاثنين 13 جوان 1814 م) ، ورد البشير من الدولة العلية العثمانية ، بأخذ الحرمين الشريفين من يد الوهابي ، وأعلنت مدافع الحاضرة سرورا بذلك .

ولا بأس أن نلمّ بخبر هذا الوهابي :

وهو أن رجلا يقال له محمد بن عبد الوهاب ، من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، منع زيارة القبور ، حتى قبور الانبياء ، ومنع التوسّل بهم الى الله تعالى ، والبناء على قبورهم وصرّح بكفر من يفعل ذلك وسمّاه مشركا ، زاعما أن الزيارة والتوسل عبادة ، وهي لا تكون الا لله تعالى . وترامت بهذا الرجل الاسفار الى أن استقرّ بالدرعية من أرض نجد ، فصادف بها آذانا واعية ، وقلوبا من العلم خاوية ، وألقى لكبيرهم سعود هذا المذهب ، واستدلّ له بظواهر آيات وأحاديث اغترّ بها عامتهم حتى استباحوا قتال المسلمين . ولم يزل هذا المذهب ينمو الى أن أفضى الامر لسعود بن عبد العزيز بن سعود . القائم الاول ، فعظم الامر في زمنه ، ونصب حربا للمسلمين عموما ، ولاهل الحجاز خصوصا ، وصدّهم عن بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الانام ، وعاث في أهل الحجاز ، وأطلق يد القتل والنهب فيهم . واستحكم هذا المذهب في قلوب أتباعه ، والتحموا به التحام النسب . واشتدت عصبيتهم وقويت ، فطلبوا غايتها وهي الملك والسلطان . وأقاموا دعاة يدعون الناس الى مذهبهم ، مع رسائل وجهوها لآفاق المسلمين ، فوصلت منها رسالة للقطر التونسي نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل الله فلا هاديّ له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشّد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوّى ، ولا يضرّ الا نفسه ولا يضرّ الله شيئا . أما بعد ، فقد قال الله تعالى : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (1) . وقال الله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ »



ذُنُوبِكُمْ» (١) . وقال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (٢) . وقال الله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » (٣) ، فأخبر سبحانه أنه أكمل دينكم ونعمتي ورخصتي لكم الإسلام دينا (٣) ، فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا بلزوم ما أتى به إلينا من ربنا ، وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال تعالى : « اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (٤) . وقال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٥) .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته آخذة ما أخذته الامم قبلها شيئا فشيئا وذراعا وذراعا . وأخبر في الحديث أن أمته ستفرق ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ، قالوا : « من هي يا رسول الله ؟ » قال : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

واذا عرفت هذا ، فمعلوم ما عمت به البركات من حوادث الامور التي أعظمها الإشراف بالله ، والتوجه الى الموتى . وسؤالهم النصرة على العبدى ، وقضاء الحاجات . وتبريج الكبريات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات ، وكذلك التقرب اليهم بالنذور ، وذبح القربات ، والاستعانة بهم في كشف الشدائد وجلب القوائد ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى .

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها ، لانه سبحانه أغنى الأغنياء عن الشركاء ، ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقرّبوهم الى الله زلفى ، ويشفعوا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَسْتَشِيرُ اللَّهَ إِنَّمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٦) ، فأخبر

أن من جعل بينه وبين الله وسائط لاجل الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (١) و « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (٢) وقال تعالى : « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا » (٣) . وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى » (٤) . فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، كما قال تعالى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٥) . وقال تعالى : « وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَسًا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَئِنْ لَكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ » (٦) . فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدمُ فَمَنْ دونه تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، ولا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخبر الله ساجدا ، فيحمده بمحامد يعلمه أياها ، ثم يقول له : « ارفع رأسك وقل تَسْتَغْفِرُ لِمَن تَأْتِي بِخَيْرٍ فَهُوَ لَمْ يَقْبَلْ تَسْتَغْفِرُ لِمَن تَأْتِي بِخَيْرٍ فَهُوَ لَمْ يَقْبَلْ » ثم يَحِدُّ له حَدًّا فيُدْخِلُهُم الجنة ، فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ؟ وهذا الذي ذكرنا لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرَج على منهاجهم . وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها وجعل الصدقة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها ، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يُلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْاَوْثَانَ » .

وهو صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد أعظم حماية ، وسدَّ كلَّ طريق موصل الى الشرك ، فنهى أن يجصَّصَ القبرُ ويبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه لفظ : أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبرا مشرفا الا سواه . ولذلك قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور » ، لانها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) س ١/٣٩ - ٤٤ - ٢) س ٢/٢٥٥ - ٣) س ١/٢٠ - ١٠٩ - ٤) س ١/٢١ - ٢٨ - ٥) س ١/٧٢ - ١٨  
(٦) س ١/١٠ - ١٠٦

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل الامر الى أن كفرنا وقَاتَلُونَا واستَحَلُّوا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا ، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونَقَاتِلُهُمْ عليه ، بعد ما نَقِمْ عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الائمة ، محتلين لقوله تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ » (١) . فمن لم يُجِبِ الدعوة بالحجة والبيان ، دعوانه بالسيف والسنان ، كما قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ » (٢) .

وندعو الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، والله عاقبة الامور .

فهذا ما نعتقد وندين الله به ، فمن عَمِلَ على ذلك فهو أخونا المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك . انتهى .

ولا يخفى أن هذا الرجل ، بنى شُبُهته على أن التوسل الى الله ببركة الانبياء فمن دوتهم عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله . وما درى أن العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة ، سواء كانت معقولة المعنى أو تَعَبُدِيَّة ، وأن ما خرج عن التكاليف الشرعية ليس من العبادة في شيء . ولم يفرق بين البدعة الموصلة الى الكفر ، المقتضي للقتال ، واستباحة الدماء والاموال ، وبين غيرها ، وانما قصد ملكا يريد الحصول عليه بعصية دينية .

ولما شاعت هذه الرسالة في القطر التونسي ، بعث بها الباى أبو محمد حمودة باشا الى علماء عصره ، وطلب منهم أن يوضحوا للناس الحق ، فكتب عليها العلامة المحقق ، نسيح وحده ، أبو الفداء اسماعيل التميمي ، كتابا مطولا بديعا ، يدل على يد طولى

وسعة اطلاع ، سماه « المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية » ، وأجاب عنها العلامة المحقق فخر عصره أبو حفص عمر ابن المفتي العلامة فخر المذهب المالكي أبي الفضل واسم المحجوب ، برسالة بديعة مشتملة على الرد عليه ، في قصده الذي صرح به والذي أشار اليه ، وهي المطابقة لمقتضى الحال ، نذكرها عوض ما أضربنا عنه من المقامات ، وأشعار التكسب التي لا تفيد الا التقرب للممدوح . ونصها :

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (1) ،  
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ، وَتَجْنَأ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ  
الكَافِرِينَ (2) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن  
ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ (3) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ  
وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّنْ رَبِّهِمْ  
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ  
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا  
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (4) .

أمّا بعد هذه الفاتحة . التي طلعت في سماء المفاتحة ، فانك راسلتنا تزعم أنك  
القائم بنصرة الدين ، وانك تدعو على بصيرة لِمَا دعا اليه سيد الاولين والآخرين ، وتحث  
على الاقتفاء والاتباع ، وتنهى عن الفرقة والابتداع ، وأشرت في كتابك الى النهي عن  
الفرقة واختلاف العباد ، فأصبحت كما قال الله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ  
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ  
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ  
لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ (5) .

وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الاسلام أمورا ، وأشركوا بالله من الاموات  
جمهورا ، في توسلهم بمشاهد الاولياء عند الآزمات ، وتشفعهم بهم في قضاء الحاجات ،  
ونذر النذور اليهم والقربات ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، وان ذلك كله اشراك برب

الارضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات ، ولعمر الله أنك قد ضللت وأضللت ، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشنت وهولت ، وعلى تكفير السلف والخلف عولت ، وما نحن نحاكمك الى كتاب الله المحكم ، والى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما ما أقدمت عليه من قتال أهل الاسلام ، وإخافة أهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة ، وأدتمتم اضرار الحرب بين المسلمين وإيقاده ، فقد اشترتكم في ذلك حطام الدنيا بالآخرة ، ووقعتم بذلك في الكبائر المتكاثرة ، وفرقتكم كلمة المسلمين ، وخلعتم من أعناقكم ربقة الطاعة والدين ، وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ » (1) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - أَيِ مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ - فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي ذِمَّتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا ، ولعماد سنته مستندا ، فكيف بعد هذا - ويحك - تستحل دماء أقوام بهذه الكلمة ناطقون ، وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون ، ولدعائم الاسلام يُقيمون ، ولحوزة الاسلام يحمون ، ولعبدة الأصنام يقاتلون ، وعلى التوحيد يناضلون ، وكيف قذفتكم أنفسكم في مهواة الالحاد ، ووقعتم في شق العصا والسعي في الارض بالفساد ؟ .

وأما ما تأولت عليه من تكفيرهم بزيارة الاولياء والصالحين ، وجعلهم وسائط بينهم وبين رب العالمين ، وزعمت ان ذلك شئنة الجاهلية الماضية ، فنقول لكم في جوابه : معاذ الله أن يعبد مسلم تلك المشاهد ، وأن يأتي اليها معظما تعظيم العابد ، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام ، وأن يعبد بها بسجود أو ركوع أو صيام ، ولو وقع ذلك من جاهل لانتفض اليه ولادة الامر والعظماء ، وأنكره العارفون والعلماء ، وأوضحوا للجاهل المنهج القويم ، وهدوه الصراط المستقيم .

وأما ما جنحت إليه ، وعوات في التفكير عليه ، من التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على العدى ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها الا رب الارضين والسموات ، الى آخر ما ذكرتم ، مؤقدا به نيران الفرقة والشقاق ، فقد أخطأت فيه خطأ مبينا ، وابتغيت فيه غير الاسلام دينا ، فان التوسل بالمخلوق مشروع ، ووارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفقعة ، وأدلتة كثيرة محكمة ، تضيق المهارق عن استقصائها ، ويكيل اليراع اذا كُلف باحصائها ، ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين ، في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، واستسقاؤهم عام الرمادة بالعباس ، واستدفاعهم به الجذب والباس ، وذلك أن الأرض أجذبت في زمن عمر رضي الله عنه ، وكانت الريح تذر ترابا كالرماد لشدة الجذب ، فسميت عام الرمادة لذلك ، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب يستقي للناس ، فأخذ يَضْبَعِيهِ ، وأشخصه قائما بين يديه ، وقال : اللهم إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ ، فانك تقول وقولك الحق : « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » (1) ، فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، فقد دونوا به اليك مستغفرين ، ثم أقبل على الناس وقال : استغفروا ربكم انه كان غفارا ، والعباس عيناه تنضحان بقول : اللهم أَنْتَ الرَّاعِي لَا تُهْمِلِ الضَّالَّةَ وَلَا تَدْعِ الْكَاسِرَ بِدَارِ مَضِيعَةٍ ، فقد ضرع الصغير ورقا كبيرا وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فَأَغِثْهُمْ بِغِيَاثِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوا فِيهِ هَلَكُوا ، انه لا يياس من رَوْحِكَ الا القوم الكافرون ، اللهم فَأَغِثْهُمْ بِغِيَاثِكَ فَقَدْ تَقَرَّبَ الْقَوْمُ إِلَيْكَ بِمَكَانَتِي مِنْ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فنشأت سحابة ، ثم تراكت ، وماست فيها ربح ، ثم هزّت ، ودرّت بغيت واكيف ، وعاد الناس يتمسحون بردائه ويقولون له : هنيئا لك ساقى الحرمين .

فأخبرني - يا أخا العرب - هل تكفر بهذا التوسل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وتكفر معه سائر من حضر من الصحابة والتابعين ، لكونهم جعلوا بينهم وبين الله واسطة من الناس ، وثشفعوا اليه بالعباس ، وهل أشركوا بهذا الصنيع مع الله

غيره ، وما منهم الا من أنهضته للدين القويم غيرة . كلاً والله ، وأقسم بالله وتالله ، بل مكفرهم هو الكافر ، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر ، وهم أهدي سبيلاً ، وأقوم قبلاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا بمن بعدي ، أبي بكر وعمر » . وإذا قدحت في هذا الجمع من الصحابة الذين منهم عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وغيرهما ، فمن أين وصل لك هذا الدين ، و[من] رواه لك مبلغاً عن سيد المرسلين ؟ ثم ما تصنع يا هذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في أويس ، وأنه أخبر به عليه الصلاة والسلام وهو من أعلام النبوة ، وأمر عمر بطلب الاستغفار منه ، وأنه طلب منه ذلك واستغفر له . وقد قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : « يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ » (١) .

فالزائر للأولياء والصالحين اما أن يدعو الله لحاجته ، ويتوسل بسرّ ذلك الولي في إنجاح بُغيته ، كفعل عمر في الاستسقاء ، أو يستمدّ من المزور الشفاعة له وإمداده بالدعاء ، كما في حديث أويس القرنيّ ، إذ الأولياء والعلماء كالشهداء أحياء في قبورهم ، انما انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء .

فأيّ حرج بعد هذا يا أيها القائل للدين ، في زيارة الأولياء والصالحين ؟ وأي منكر تقوم بتغييره ، وتفتح شقّ العصا وإضرار سعيّره ؟ ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون أنواعاً كثيرة من الشفاعة ، ولا يثبتونها الا لاهل الطاعة ، كما أنه يلوح من كتابك انكار كرامات الأولياء ، وعدم نفع الدعاء ، وكلها عقائد عن السنة زائفة ، وعن الطريق المستقيم رائغة .

وقولكم ان ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، افتراء وميّن ، والحاد في الدين ، لان أهل السنة والجماعة ، يثبتون لغير الانبياء الشفاعة ، كالعلماء والصلحاء وآحاد المؤمنين ، فمنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للقيّام من الناس ، كما ورد أيضاً أن أويس القرنيّ يشفع في مثل ربيعة ومضر . وأما المعتزلة فانهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثبتوا الشفاعة العظمى من هول الموقف ، والشفاعة للمؤمنين المطيعين أو التائبين في رفع الدرجات ، ولم يثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر الذين لم يتوبوا ، في النجاة من النار ، بناء على مذهبهم الفاسد من التكفير بالذنوب ، وأنه يجب عليها التعذيب .



وأما ما جنت اليه من هدم ما بُني على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهياء والعظيمة العظمى من الظلم ، التي أضلك الله فيها على علم ، « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُدْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . (١) وكأنك سمعت في بعض المحاضر ، بعض الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر ، فَتَلَقَّفْتَهُ مَجْمَلًا من غير بيان ، وأخذته جُرُافًا من غير مِكيال ولا ميزان ، وجعلت ذلك وَلِجَّةً إلى ما تقلدته من العسف والطغيان ، في هدم ما على قبور الأولياء والعلماء من البنیان . ولو فاوضت الأئمة ، واستهديت هداة الأمة ، الذين خاضوا من الشريعة لُجَجَهَا ، واقتحموا ثَبَجَهَا ، وعالجوا غِمَارَهَا ، وركبوا ثِيَارَهَا ، لاخبروك أن محلَّ ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء في مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عامتهم لا على التعيين ، لِمَا فيه من التحجير على بقية المستحقين ، ونش عظام المسلمين . وأما ما ينيه المسلمون أو الكفار في أملاكهم المملوكة لهم ، ليصلوا بمن يُدْفَن هناك حبلهم ، فلا حرج يلحقهم ، ولا حِرْمَةٌ ترهقهم . فكما لا تحجير عليهم في بناء أملاكهم دُورًا أو حوانيت أو مساجد ، كذلك لا حرج عليهم في جعلها قبابا أو مقامات أو مشاهد .

ثم ليتك اذ تلقفت ذلك منهم ، ووعيته عنهم ، أن تعيد عليهم السؤال ، وتشرح لهم نازلة الحال ، وهل يجوز بعد النزول والوقوع ، هدم ما بني على الوجه الممنوع ، وهل هذا التخريب محذور أو مشروع . فاذا أجابوك أنه من معارك الانظار ، ومحل اختلاف العلماء والنظار ، وأن منهم من يقول بابقائه على حاله ، رعيًا للحائر في اتلاف ماله ، وأن له شبهة في الجملة تحميه ، وفي ذلك البناء منفعة للزائر تقيّه . ومنهم من شدد النكير ، وأبى الا الهدم والتغيير . فاذا تحقق عندك هذا ، فكيف تقدم هذا الإقدام وتخوض مزلق الأقدام ، وتطلق العنان في هدم كل مقام ، من غير مراعاة لِمَا في الدين ولا دمام . فاذا انفتحت لك هذه الابواب ، نظرت بنظر آخر ليس فيه ارتياب ،

وهو أن المنكر الذي اقتضى نظرك تغييره ، ليس منفقا عليه عند أهل البصيرة ، وأنه من مدارك الاجتهاد ، وقد سقط عنك القيام فيه والانتقاد . ثم بعد الوصول الى هذا المقام ، أعد نظرا في إيقاد نار الحرب بين أهل الاسلام ، واستباحة المسجد الحرام ، واخافة أهل الحرمين الشريفين ، والاستهوان لاصابة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فينتضح لك أنك غيرت المنكر في زعمك ، وبحسب اعتقادك وفهمك ، وأتيت بجمل كثيرة من المناكر ، وطائفة عديدة من الكبائر ، آذيت بها نفسك والمسلمين ، وابتغيت بها غير سبيل المؤمنين ، وتعرضت بها لاذاية الاولياء والصالحين ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام ، في حديث رواه البخاري والامام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذنتني بحرب » ، فكفى بالتعرض لحرب الله خطرا ، وقذفا في العطب وضررا .

واما إنكار زيارة القبور ، فأبي حرج فيها أو محذور ، وأي ذميمة تطرقها أو تعروها ، مع ثبوت حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ، فان هذا الحديث ناسخ لما ورد من النهي عن زيارتها ، وراح لما في أول الاسلام من حماية الأمة من أسباب ضلالتها ، لقرب عهدا بجاهليتها ، وعبادة أصنامها وآلهتها . وكيف تمنع من زيارتها ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرعها ، وسام رياضتها وأرضعتها ، فقد ثبت في حديث عائشة أم المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم زار بقيع الغرقد واستغفر فيه لموتى المسلمين ، وثبت أيضا أنه زار قبر أمه آمنة بنت وهب واستغفر لها .

وأخذ بذلك الصحابة والتابعون ، ودرج عليه العلماء والسلف الماضون ، فقد ثبت في الاحاديث المروية عن أئمة الهدى ، ونجوم الاقتداء ، أن فاطمة سيدة نساء العالمين زارت عمها سيد الشهداء ، وذهبت من المدينة الى جبل أحد ، ولم ينكر من الصحابة أحد ، وهم اذ ذاك بالمدينة متآمرون ، وعلى اقامة الدين متناصرين . أفتجعل هؤلاء أيضا مبتدعين ، وأنهم سكتوا عن الابتداع في الدين ؟ كلا والله ، بل يجب علينا اتباعهم ، ومن أدلة الشريعة لإجماعهم .

وقد مضت على ذلك العلماء في جميع الاقطار ، واندبوا بأنفسهم للاستعداد من قبور الصلحاء ، وقضاء الاوطار ، وخلدوا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم ، وسطروه في

دواوينهم وتعليقاتهم وقسموا الزيادة الى اقسام وأوضحوا ما تلخص لديهم من الاحكام وذلك أن الزيارة ان كانت للاتعاظ والاعتبار ، فلا فرق في جوازها بين قبور المسلمين والكفار ، وان كانت للترحم والاستغفار من الزائر ، فلا منع فيها الا في حق الكافر ، فان الشريعة أخبرت بعدم غفران كفره ، وعليه حملوا قوله تعالى : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ » (1) . وان كانت الزيارة لاستمداد الزائر من المزور ، وتوخي المكان الذي فضله مشهور ، والدعاء عند قبره لأمر من الامور ، فلا حرج فيها ولا محذور ، بل هو مندوب اليه ، ومرغّب فيه ، وانه مما تشدّ المطي اليه ، ومن خالف في هذا الحكم سبيل جمهورهم ، واتبع من الشبهات مخالف مشورهم ، فقد شدد العلماء في النكير عليه ، وسددوا سهام النقد اليه ، وأشرعوا نحوه رماح التضليل ، وأرهقوا له سيوف التجهيل ، واتفقت كلمتهم على بدعته في الاعتقاد ، وثبوا اليه عنان الانتقاد ، « وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » .

وأما النهي الوارد في شدّ المطي لغير المساجد الثلاثة فانما هو بالنسبة لنذر الصلاة فيها ، فانه لا يختلف ثواب الصلاة لديها .

وأما المزارات فتختلف في التصريف مقاماتها ، وتفاوت في ذلك كراماتها ، وذلك لسرّ في الاستمداد والامداد لا تطّلع عليه ، وضربت بسور له باب بينك وبين الوصول اليه ، وقد أوضح ذلك حجة الاسلام ، ومن شهد له بالصدّيقية العلماء والاولياء العظام .

وأما ادماجكم لقبور الانبياء في أثناء النكير ، والتضليل لزائريها والتكفير ، فهو الذي أحفظ عليكم الصدور ، وأترع حياض الكراهة والنفور ، وسدد اليكم سهام الاعتراض ، وأوقد شواطئ البغض والارتيماس .

فقل لي - يا أخا العرب - هل قمت لنصرة الدين أم لنقض عرّاه ، وهل أنت مصدق بالوحي لنبيه أم قائل : إِنْ هُوَ إِلَّا لَفُكُّ افْتِرَاهِ ؟ وما تصنع بعد اللتيّ والتي ، في حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ؟ وأخبرني هل تضكّل سليمان بن داود

في بنائه على قبر الخليل ، ومن معه من أنبياء بني اسرائيل ؟ وما تقول - ويحك - في الحديث الذي رواه جهاذة الرواة ، وصححه المحدثون الثقات ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لما أسري بي الى بيت المقدس ، مرّ بي جبريل على قبر ابراهيم عليهما السلام ، فقال لي إنزل فصلً هنا ركعتين ، فان ههنا قبر أبك ابراهيم عليه السلام » ؟ وعنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أنه قال : « من لم تُمكنه زيارتي فليزر قبر ابراهيم الخليل عليه السلام » . فأين تذهب بعد هذا يا هذا ؟ وهل تجد لنفسك مدخلا أو معاذاً ؟ وهل أبقيت بعد تضليل جميع الانبياء ملاذاً ؟ « رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » . (1)

وأما تلميحكم للاحاديث التي تتلقفونها ، ولا تحسنونها ولا تعرفونها ، فهيمتكم بسبب ذلك في أودية الضلالة ، ولم تشيّموا بها الا برُوقَ الجهالة ، وسلكتم شعابها من غير خبير ، ونحوتم أبوابها بلا تدبّر ولا تدبير ، فان حديث « لا تتخذوا قبوري مسجداً » ، محمّله عند البخاري على جعله للصلاة متعبداً ، حفظاً للتوحيد ، وحماية للجاهل من العبيد ، لان المصلّي للقبلة يصير كأنه مصلّ اليه ، فحمى صلى الله عليه وسلم حيمى ذلك من الوقوع فيه . وأما قصده للزيارة والاستشفاع ، والاستمداد ببركته والانتفاع ، وقصد المسلمين اياه من سائر البقاع ، فما يسعنا الا الاتّباع .

وكذلك ما لوَحّت به الى شدّ الرّحال ، فانك أخطأت في الاستشهاد به في نازلة الحال ، وذلك أن الحصر في المساجد ، دون سائر المشاهد .

وكذلك ما لمحت اليه من حديث تعظيم القبر باسراجه ، فانك أخطأت فيه واضح منهاجه ، مع بهرجة نقده في رواجه ، ومحمّله - على فرض صحّته - على فعل ذلك للتعظيم المجرّد عن الانتفاع للزائرين ، أما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين ، فهو جائز بلا مَنّ .

وأما ما تدّعون من ذبح الذبائح والتذوّر ، وتبالغون في شأنها التغيير والتكثير ، وتصف أستمكم الكذب ، وتثيرون في شأنها الهرج والشغب ، فكون الذبائح المذكورة مما أهّل به لغير الله مكابرةً للعيان ، وقذفٌ بالافك والبهتان ، فانّا بلونا أحوال أولئك الناذرين ، فلم نر أحدا منهم يسمّي عند ذبحها اسم وليٍّ من الصالحين ، ولا يطلّخ

الضرائح ، بدم تلك الذبائح ، ولا يأتون بفعل من الافعال ، الحاكمة على تحريم الذبيحة والاهلال .

وأما نذرها لتلك المزارات ، فليس على أنها من باب الديانات ، ولا أن من لم يفعل ذلك يَكُنْ ناقص الدين في العادات ، وانما يقصدون بذلك مقاصد الرُقَى والنُّشْرِ (١) ، والانتفاع في الدنيا بسر في التصديق بها استر ، ولم يدر منها الا ما اشتهر .

والواجب علينا وعليكم الرجوع في حكم نذرها الى العلماء الاعلام ، المتصلين من دراية الاحكام ، المقيمين لقسطاسها ، المسرحين لنبراسها ، الناقبين على أساسها ، ومن لديهم محكٌ عَسَجِدَها ونحاسِها .

فان كنتم للحق تقيمون ، ومن مخالفة الشريعة تتجرمون ، « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، « وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ » ، فانهم يهدونكم السبيل ، ويفتونكم في هذه المسألة بالتفصيل ، وأن هذا الناذر ان نذر تلك الذبائح للولي المعين بلفظ الهدى والبدنة ، فقد جاء بالسنة مكان الحسنة . ولكن ما رأينا من خلع في هذا المحذور رَسَنَه ، ولا من اهتَصَرَ فَتَنَه ، وإن نذر تلك الذبائح لمحل الزيارة ، بغير هاته العبارة ، وكان من الذبائح التي تقبل أن تكون هديا ، فهل يلزمه أن يسعى به لذلك المزار سعيا ، أو لا يلزمه الا التصديق به في موضعه رعا ، خلاف في مذهب مالك شهير ، قرره العلماء النحارير . وان كان ذلك النذر مما لا يصح إهداؤه ، فالقاصد للفقراء الملازمين بمحل الشيخ يلزمه بعثه وإنهاؤه ، والقاصد للولي في نذره وتشرعته (٢) ، لا يلزمه الا التصديق به في موضعه .

واذا اتضح لديك الحال ، فأني داعية للحرب والقتال ؟ وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحذور ، الا بالنيات التي لا يعلمها الا العالم بما في الصدور ؟ والله انما كلفنا بالظاهر ، ووَكَّلَ اليه أمر السرائر . ولم يقيض بالخواطر نقيبا ، ولا جعل عليها مهيمنا من الولاة ولا رقبيا .

(١) النشرة بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج . يصلح به من كان يظن أن به سسا من الجن (النهاية لابن الاثير)

(٢) تشرع : اتبع شريعة او ديناً (دوزي)

وإذا التزمت سدّ الذريعة بالمتنع من المشروع ، خوفاً من الوقوع في المنوع ، فالترجم  
هذا الالتزام ، في سائر العبادات الواقعة في الاسلام ، التي لا تفرقة فيها بين المسلم  
والكافر ، الا بما انطوت عليه الضمائر . فان المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة  
الحجارة ، بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة ، والصائم يحتمل أن يقصد بصومه  
تصحيح المزاج ، أو المداواة والعلاج ، والمزكي يحتمل أن يقصد مقصداً دنيوياً ، أو  
معبوداً جاهلياً ، والمحرم بحج أو عمرة ، يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره .

وإذا وصلت الى هذا الالتزام ، نقضت سائر دعائم الاسلام ، والتبس أهل الكفر  
بأهل الايمان ، وأفضى الحال الى هدم جميع الاركان ، واستبيحت دماء جميع  
المسلمين ، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين .

فانظر أيها الانسان ، ما هذا الهديان ، وكيف لعب بك الشيطان ، وماذا أوقعك  
فيه من الخسران . فارجع عن هذا الضلال المبين ، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر  
لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين .

وأما ما جلبتم من الاحاديث الواردة في تغيير النبي صلى الله عليه وسلم للقبور ،  
وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطمسها وتسويتها ، فقد أخطأتم الطريق في  
فهمها ، ولم يأتكم نبأ عليمها ، ولو سألتهم عن ذلك ذويه ، لآخبروكم بأن محمله  
طمس ما كانت الجاهلية عليه ، وكانت عادتهم اذا مات عظيم من عظمائهم ، بنوا  
على قبره بناء كسأطهم من أطامهم ، مباهاة وفخرا ، وتعاضوا وكبرا ، فبعث صلى الله  
عليه وسلم من يمحو من الجاهلية آثارها ، ويطمس مباهاتها وفخارها ، والا فلو كان  
كما ذكرتم ، لكان حكم التسليم (1) كحكم ما أنكروتم .

وإذا استبان لكم واتضح لديكم ، انقلبت الحجة التي أثبتتم بها عليكم ، وكيف  
تجعلون تلك الاحاديث حجة قاضية ، على وجوب كون القبور ضاحية (2) ، والفرق  
ظاهر بين البناء على القبور ، وحفر القبور تحت البناء ، فالاول من فعل الجاهلية الوارد  
فيه ما ورد ، والثاني هو الذي يجوزكم فيه المستند ، ولا يوافقكم على تعميم النهي احد .

(1) تسليم القبر خلاف تسطيحه . وقبر منم اذا كان مرفوعا عن الارض . (اللسان) .

(2) الضاحي من كل شيء البارز الظاهر . (اللسان)

وأما ما نزعتم اليه من التهديد ، وقرعتم فيه بآيات الحديد ، وذكرتم «أن من لم يُجِب بالحجة والبيان ، دعواه بالسيف واللسان» ، فاعلم يا هذا أننا لسنا ممن يعبد الله على حرف ، ولا ممن يفرُّ عن نصرة دينه من الزحف ، ولا ممن يظن بربه الظنون ، أو يترجح عن الوثوق بقوله تعالى : « فَاذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (1) ، ولا ممن يميل عن الاعتصام بالله سرّاً وعلناً ، أو يشك في قوله تعالى : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » (2) ، وما بنا من وهن ولا فشل ، ولا ضعف في النكاية ولا كسل ، نتصر للدين ونحمي حماه ، وما النصر الا من عند الله .

وأما ما جال في نفوسكم ، ودار في رؤوسكم ، وامتدت اليه يد الطمع ، وسوّته الاماني والخدع ، من أنكم من الفئة الذين هم ومن حالفهم ، لا يضرهم من خالفهم ، وأنكم من الطائفة الظاهرين على الحق ، وأن هذه المناقب تساق اليكم وتحق ، فكلّا وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب ، أو يصير لكم ارثها بفرض أو تعصيب ، فان هذا الحديث وإن كان واردا صحيحا ، الا أنكم لم تَوْفَوْا طريقه تنقيحا ، فان في بعض رواياته « وهم بالمغرب » وهي تحجبكم عن هذه المناقب ، وتبعدكم عنها بعد المشارق من المغرب .

فانفض يديك ، مما ليس اليك ، ولا تمدّن عينيك ، الى من حرّمت عليك ، فانكاح الثريا من سهيل ، أمكن من هذا المستحيل .

أما أهل هذه الاصقاع ، والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع ، فهم أجدر أن يكونوا من اخواننا ، وتمتد أيديهم الى خيوانها ، لصحة عقائدهم السنية ، واتباعهم سبيل الشريعة المحمدية ، ونبذهم للابتداع في الدين ، واتقيادهم للاجماع وسبيل المؤمنين .

وقد أنبأنا في هذا الكتاب ، وأعربت في طي الخطاب ، عن عقائد المبتدعة ، الزائغين عن السنة المتبعة ، الراكبين مراكب الاعتساف ، الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف ، فالنصيحة النصيحة ، أن تترع لباس العقائد الفاسدة وتشريل العقائد الصحيحة ، وترجع الى الله وتؤمن ببقائه ، ولا تكفر أحدا بذنب اجتناه . فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله .



وزبدة الجواب وفذلكة الحساب ، انك ان قفوت يا أخا العرب نصحك ، وأسوت  
 بالتوبة جرحك ، وأدملت بالانابة قرحك ، فمرحبا بأخي الصلاح ، وحيهلاً بالمؤازر  
 على الطاعة والنجاح ، وجمع الكلمة والسماح ، وان أطلت في لجة الغواية سبحك ،  
 وشيدت في الفتنة صرحك ، واختللت عارضا رُمحك ، فان بني عمك فيهم رماح ،  
 وما منهم الا من يتقلد الصفاح ، ويجيل في الحرب فائز القيد آح .

والله تعالى يسدّد سهام الامة الساعية فيما يحبه ويرضاه ، ويُخمد ضرام الفتنة  
 الباغية حتى تفني الى أمر الله . والسلام .

وبعث حمودة باشا بهذه الرسالة الى القائم الوهابي فلم يجب عنها . ولجّ في حروبه  
 وقتاله ، الى أن كانت الهزيمة آخر حاله ، على يد رجل الدنيا وواحد الطائر الصيت  
 في جهات المعمور ، من ردّ الله به مصر الى شبابها ، رد شباب امرأة العزيز ليوسف  
 الصديق ، وهو أبو عبد الله محمد علي باشا ، عزيز مصر ، رحمه الله .

# المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

## اسماء الكتب التى نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية اعداد صفحاتها

- ١ - جزء عسم من القرآن الكريم ..... ٣٢
- ٢ - تفسير سورة البقرة (شيخ زاده) ..... ٦٠٤
- ٣ - الإيمان والاسلام ..... ٩٦
- ٤ - القول الفصل شرح الفقه الاكبر ..... ٤١٦
- ٥ - نخبة اللآلى لشرح بدلى الامالى ..... ١٤٤
- ٦ - الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية (الجز الاول) ..... ٤٣٦
- ٧ - علماء المسلمين والواهابيون ..... ١٥٦
- ٨ - فتاوى الحرمين برجف ندوة المين ..... ١٢٨
- ٩ - هدية المهديين و يليه المتنبى القاديانى ..... ١٩٢
- ١٠ - المنقذ من الضلال و يليه الجام العوام عن علم الكلام و يليهما تحفة الارب ..... ٢٥٦
- ١١ - المنتخبات من المكتوبات للامام الربانى ..... ٢٥٦
- ١٢ - مختصر (التحفة الإثنى عشرية) ..... ٣٥٢
- ١٣ - الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية و يليه الحجج القطعية ..... ١٨٤
- ١٤ - خلاصة التحقيق فى بيان حكم التقليد والتلفيق ..... ٣٢٠
- ١٥ - المنحة الوهابية فى رد الوهابية ..... ١٧٦
- ١٦ - البصائر لمنكرى التوسل باهل المقابر ..... ٢٦٤
- ١٧ - فتنة الوهابية و يليها الصواعق الإلهية و يليهما سيف الجبار ..... ٢٥٦
- ١٨ - تطهير الفؤاد و يليه شفاء السقام ..... ٢٥٦
- ١٩ - الفجر الصادق فى الرد على منكرى التوسل والكرامات والخوارق .. ١٩٢
- ٢٠ - الحبل المتين فى اتباع السلف الصالحين ..... ١٣٦
- ٢١ - خلاصة الكلام فى بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثانى) ..... ٢٢٤
- ٢٢ - التوسل بالنبي و بالصالحين و يليه التوسل ..... ٣٣٦
- ٢٣ - الدرر السنية فى الرد على الوهابية ..... ١٧٦
- ٢٤ - سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلالة ..... ٢٠٨
- ٢٥ - الانصاف فى بيان سبب الاختلاف و يليه عقد الجيد ..... ١٩٢
- ٢٦ - المستند المعتمد ببناء نجاة الابد ..... ٢٧٢

# المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اعداد صفحاتها

الكتب العربية

- ٢٧- الاستاذ المودودى و يليه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية ..... ١٢٨
- ٢٨- كتاب الأيمان (من رد المحتار) ..... ٢٠٨
- ٢٩- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول) ..... ٣٩٢
- ٣٠- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثانى) ..... ٣٢٠
- ٣١- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث) ..... ٣٥٢
- ٣٢- الأدلة القواطع على الزام العربية فى التوايع ..... ١٢٠
- ٣٣- البريقة شرح الطريقة و يليه منهل الواردين من بحار الفيض  
على ذكر التأهلين فى مسائل الحيض ..... ٢٨٨
- ٣٤- البهجة السنية فى آداب الطريقة و يليه ارغام المريد ..... ٢٢٤
- ٣٥- السعادة الابدية فيما جاء به النقشبندية  
و يليه الحديقة الندية فى الطريقة النقشبندية ..... ٣٠٤
- ٣٦- مفتاح الفلاح و يليه خطبة عيد الفطر ..... ١٩٢
- ٣٧- مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام ..... ٥٩٢
- ٣٨- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الجلد الاول) ..... ٤٤٨
- ٣٩- حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين (من الجلد الثانى) ..... ١١٢٠
- ٤٠- اثبات النبوة و يليه الدولة المكية بالمادة الغيبية ..... ٢٢٤
- ٤١- النعمة الكبرى على العالم فى مولد سيد ولد آدم ..... ٢٣٢
- ٤٢- تسهيل المنافع و بهامشه الطب النبوى ..... ٣٠٤
- ٤٣- الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية  
و يليه المسلمون المعاصرون ..... ٢٦٤
- ٤٤- كتاب الصلاة ..... ٣٢
- ٤٥- صرف عربى وعوامل والكافية لابن الحاجب ..... ١٦٨
- ٤٦- الصواعق المحرقة فى الرد على اهل البدع والزندقة ..... ٣٣٦
- ٤٧- الحقائق الإسلامية فى الرد على المزاعم الوهابية ..... ١٢٨
- ٤٨- نور الاسلام ..... ٣٠٤
- ٤٩- الصراط المستقيم فى رد النصارى ..... ٨٠
- ٥٠- الرد الجميل فى رد النصارى و يليه ايها الولد للغزالي ..... ٩٦

# المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التي نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب الفارسية	اعداد صفحاتها
١ - مکتوبات امام ربانی (دفتر اول)	٦٧٢
٢ - مکتوبات امام ربانی (دفتر دوم ونوم)	٦٠٨
٣ - منتخبات از مکتوبات امام ربانی	٤١٦
٤ - منتخبات از مکتوبات معصوميه	
و يليه مسلك مجدد الف ثاني (باترجمه اردو)	٣٩٢
٥ - مبدأ ومعاد	٨٨
٦ - کیمیای سعادت (إمام غزالی)	٣٤٤
٧ - ریاض الناصحين	٣٨٤
٨ - مکتایب شریفه (حضرت عبدالله دهلوی)	٢٨٨
٩ - در المعارف (ملفوظات حضرت عبدالله دهلوی)	١٦٠
١٠ - رد وهابی و يليه سيف الابرار المسلول على الفجار	١٤٤
١١ - الاصول الاربعة في تردید الوهابيه	١٢٨
١٢ - زبدة المقامات (برکات احمدية)	٤٢٤
١٣ - مفتاح النجاة لاحد نامقى جامى	١٢٨
١٤ - میزان الموازين في امر الدين	٣٠٤

## الكتب العربية مع الاردوية والفارسية مع الاوردية والاردية

١ - طريق النجات (عربى مع اردو)	٢٥٦
٢ - المدارج السننية في الرد على الوهابية	
و يليه العقائد الصحيحة في تردید الوهابية التجدية	١٩٢
٣ - عقائد نظاميه (فارسی مع اردو) مع شرح قصيدة بدای الامالى	١٦٠
٤ - تأييد أهل سنت (فارسی مع اردو)	٩٦
٥ - الخيرات الحسان (اردو)	٢٢٤

## BOOKS PUBLISHED BY HAKİKAT KİTÂBEVİ

(P.K.35 Fâtih, Istanbul-Turkey)

### ENGLISH:

- 1 — Endless Bliss, I, 6th ed., 248 pp., 1985
- 2 — Endless Bliss II, 6 th ed., 296 pp., 1985
- 3 — Endless Bliss III, 5th ed., 160 pp., 1985
- 4 — Endless Bliss IV, 6th ed., 326 pp., 1985
- 5 — Endless Bliss V, 4th ed., 152 pp., 1985
- 6 — The Religion Reformers in Islam, 6th ed., 264 pp., 1986
- 7 — The Sunni Path, 10th ed., 96 pp., 1986
- 8 — Belief and Islam, 10th ed., 96 pp., 1986
- 9 — Evidences for Prophethood and Answer to a University Student, 6th ed., 128 pp., 1985
- 10 — Answer to an Enemy of Islam, 9th ed., 128 pp., 1986
- 11 — Advice for the Muslim, 6th ed., 320 pp., 1985
- 12 — Islam and Christianity, 1st ed., 200 pp., 1986

### FRENCH:

- 1 — Al rad al jamil, Ayyuha'l-walad (Al-Gazâli), 1st ed., 104 pp., 1986
- 2 — Islam et la voie d'ahl-i Sunnat, 4th ed., 88 pp., 1983
- 3 — Foi et Islam, 5th ed., 104 pp., 1983
- 4 — Islam et christianisme, 1st ed., 1986
- 5 — L'Evidence de La Prophétie, 2nd ed., 80 pp., 1980

### GERMAN:

- 1 — Islam und der Weg der Sunniten, 4th ed., 96 pp., 1986
- 2 — Glaube und Islam, 3rd th., 72 pp., 1986
- 3 — Islam und Christentum, 1st ed., 1986

# المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

هذا الكتاب (الحقائق الإسلامية في الرد على المزايم الوهابية) ألفه مالك بن داود مدير (مدرسة العرفان) بمدينة «كوتيا» بجمهورية «مالي» الواقعة في قارة أفريقيا سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٣ م. يقول المؤلف في كتابه هذا: «أن المسلمين افترقوا على فرق متعددة عبر التاريخ إلا أنهم لم يكفروا مخالفهم من المسلمين ولكن بعد ظهور فرقة الوهابية منذ حوالي مائتين (٢٠٠) عاما كفروا من المسلمين من خالفهم ونصحهم بالألّا يغالوا في الامر وألّا يقوموا بالتفرقة بين المسلمين وذكرهم بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قال لعامة المسلمين (أمتي) وطلبهم بأن يعدلوا عن هذه الفكرة ودعاهم إلى التحبب والتأخي والتضامن والتساند الإسلامي والعمل سويا من أجل هذا الهدف وقد أثبت هم بالإدلة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن ديننا يدعونا ويأمرنا بالإتحاد والمعاونة.»

## مكتبة الحقيقة

This work, *Al-haqâ'iq al-Islamiyya fi 'r-raddi 'ala 'l-mazâ'imi 'l-Wahhâbiyya*, was writtin by Mâlik bâ bin Dâwud, Director of *Madrasat al-'Irfân* in Koutiula, Republic of Mali, Africa, in 1403 A.H. (1983). In this book, he states that, though Muslims have been divided in various groups, in the course of history, they all called one another "Muslims", that the Wahhâbis, who came about two centuries ago, say "unbelievers" or "polytheists" for all the Muslims who do not follow their path; he advises them that they should not be excessive and disunionist as such. He reminds that our prophet said "My Ummat" for all Muslims regardless of their group; he urges that the Wahhâbis should get rid of such disunionism and that all Muslims should love one another and work as brother hand in hand. The author documents with âyats and hadîths that Islam commands uniting and cooperation.



İşbu (El-hakâik-ul-islâmiyye firreddi-alel-mezâ'im-il-vehhâbiyye) kitâbını Afrikada Mali Cumhûriyetinin Koutiala şehrindeki (Medrese-tül irfân) müdürü Mâlik beh bin Dâvud 1403 [m.1983] senesinde yazmışdır. Bu kitâbında, müslümanlar târîh boyunca çeşitli fırkalara ayrılmışlar ise de, hepsinin birbirlerine müslüman dediklerini, ancak ikiyüz sene önce ortaya çıkan vehhâbilerin, kendilerine uymıyan bütün müslümanlara kâfir, müşrik dediklerini bildirmekde, böyle taşkınlık, bölücülük yapmamaları için, onlara nasihat vermektedir. Peygamberimizin, hangi fırkada olursa olsun, bütün müslümanlara (Ümmetim) dediğini hatırlatmakda, vehhâbilerin böyle bölücülükden vazgeçmesini, bütün müslümanların sevimlerini, elele vererek, kardeş olarak çalışmalarını istemektedir. Dinimizin birleşmeği, yardımlaşmağı emr etdiğini, âyet-i kerîmeler ve hadîs-i şerîflerle isbât etmektedir. Kitap arabçadır. İçinde osmanlıca yazı hiç yoktur.

**Hakikat Kitâbevi**